الجزء الرابع ربيع الآخر سنة ١٣٣١

الهداية

مجلة دينية علمية ادبية اجتماعية

منشئها

(الشيخ) عبد العزيز جاويش



تصدر

فی آخر کل شهر قمری

٦٠ قرشا عثمانيا فی بلاد الدولة العثمانية و٦٠ قرشا مصريا فی القطر المصری والسودان

١٥,٥ فرانكا فی افريقية الغربية و١٣ شلنا فی الهند و٧ روابل فی الروسيا

ثمن النسخة خمسة قروش

عنوانها :

استانبول : صندوق البوسته العمومية نمرة ١٢٧

﴿ الى القراء ﴾

قصدنا من انشاء هذه المجلة خدمة العالم الاسلامی بما نكتبه من اسرار القرآن وبما ننشره من اخبار المسلمين وقد تممنا السنة الاولى والثانية ثم هاجرنا بعد الى دار السعادة فحالت بيننا الظروف وبين اتمام السنة الثالثة وقد عزمنا بعون الله تعالى على ان يكون هذا العدد اول السنة الرابعة وندعو الله ان يوفقنا لما فيه صلاح الاسلام والمسلمين .

﴿ الى المشتركين ﴾

لا ترسل المجلة بعد هذا العدد الالمن دفع نصف قيمة الاشتراك على الاقل سلفا .

﴿ الهلال والصليب ﴾

هو الكتاب الذی جمع من اسرار الشريعة ورد المفتريات التی يلصقها بالاسلام المبطلون وقد اتى مؤلفه بالمقارنات بين الديانة الاسلامية والديانة المسيحية التی تدل على ان الاسلام دين منطق وبرهان لا دين سيف ورهبة وهو يطلب من مجلة الهداية بالاستانة وثمنه ١٠ قروش .

﴿ العالم الاسلامی ﴾

مقالات اسلامية شرحت فيها احوال الاسلام وممالكه العديدة بطريقة واسعة وهو يطلب ايضا من مجلة الهداية وثمنه ٥ قروش .

طبعت بمطبعة مساعی

الهداية

١٩

—·(تصدر فى الاستانة. ربيع الآخر سنة ١٣٣١)·—

اسرار القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

نهى القرآن الكريم المسلمين عن مخاطبة الرسول عليه السلام بقولهم راعنا وارشدهم الى وجوب مخاطبته بكلمة انظرنا ثم امرهم ان يصغوا ويستمعوا اليه. ذلك ان الكفار من اهل الكتاب والمشركين كانوا يسخرون من الرسول عليه السلام ويلوون السنتهم فى مخاطباته فتارة يخاطبونه بقولهم (راعنا) وتارة بقولهم (اسمع غير مسمع) كما كانوا تارات اخرى يعدلون عن لى اللسان واستعمال المبهمات السمجة او التوريات الى الجهر بالعبارات البذيئة فيقولون سمعنا وعصينا استهزاء

بالرسول عليه السلام واستخفافا بشأنه واستكبارا عن الانصات الى هدايته وتفهم رسالته

فأما نهى المؤمنين عن مخاطبة الرسول بتلك العبارات المذكورة آنفا فذلك ان كلمة راعنا كانت فى اهل الحجاز قولا سخريا لا يستعمل فى مواطن الادب ولكن جهال العرب الذين دخلوا فى الاسلام ماكانوا يدركون مبلغ قبحها .

على ان اهل الكتاب من اليهود والمشركين كانوا يفترصون استعمال جهال العرب لها فى مخاطبتهم الرسول فيخاطبونه بها ولكنهم كانوا يورون بها عن المعانى الخفية التى قد تشير اليها كلمة راعنا باعتبارها مشتقة من اصول اخرى او محرفة عن كلمات تقرب منها .

فمن ذلك ان (راعنا) كما يجوز ان يكون معناها انظر الينا كذلك يجوز ان تكون من معنى الرعونة واجريت فى الوصل فى التلاوة مجرى الوقف فى المناجاة والمخاطبة (١)

وكذلك يجوز ان يلوى بها المتكلم لسانه فتصير (راعنا) وهذه كلمة سب لدى اليهود او هى بمعنى انت راعى شائنا وانعامنا .

وبالجملة ان هذه الآية تنهى المؤمنين عن استعمال مالا يليق بمقام النبوة من الالفاظ وان لم يقصدوا منها مايقصده كفار اهل الكتاب والمشركون من الاهانة والسب والزراية والطعن فاما هؤلاء فانما حسابهم على ربهم (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا

(١) فيكون معنى (راعنا) اى ارعن وهو من الصيغ النسبية كتامر ولابن

فى الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا)

كان عامة المسلمين وسذجهم يخدعون بما يرونه من غشيان كفار أهل الكتاب والمشركين مجالس النبى صلى الله عليه وسلم وازدلافهم من صحابته فكانوا يخلصون اليهم ويحرصون على معاملتهم طبقا لاحكام القرآن الكريم الذى يأمر بالعدل والاحسان فما كانوا يكفون عن محاسنتهم ولا يستنكفون عن عيادة مرضاهم .

ولطالما استدرجتهم الغرة الكريمة التى هى من طباع المؤمن الساذج حتى انقلبوا لا يفكرون فيما يبطن لهم أولئك الاشرار من المكايد ويدبرون لهم من السوء . ولكثرما احسنوا بهم الظن فلم يأخذوا دونهم شيئا من الحذر والحيطة ولولا عناية الله بهم ورسالاته التى لم تبق خفيا الا كشفت عنه ولا كيدا الا حذرت من دونه لما بقى للمسلمين من أثر ولا للاسلام وهو فى دور تخلقه من وجود .

والمتتبع لآيات الكتاب الكريم يرى فيها من التنبيه والعظة مالو اقتدى المسلمون بشئ منه ما تصبت عليهم الارزاء من كل صوب .
كان شان اهل الكتاب فى صدر الاسلام شأنهم اليوم مع المسلمين ولكن كانت تتنزل على السلف الصالح آيات القرآن فيتدبرونها ويعونها ويعملون بها فيصونهم الله بذلك من مكر الماكرين وكيد الكائدين اما من جاء من بعدهم من الاجيال الاسلامية فقد استمسكوا ببعض الكتاب ونبذوا اكثره

عرفوا ان الاسلام يوصى بالمستأمن واهل الذمة خيرا ويفرض

لهم من الحقوق والمزايا مالا يقل عما للمسلمين بحال . ولكنهم مع ذلك نبذوا من آيات الله ما يدعو الى الحذر والتزام اليقظة كما نبذوا من كتاب الله مالا ريب فيه من الحقائق التى نراها رأى العين فى كل زمان ومكان .

كان اهل الكتاب فى صدر الاسلام يتواصون ان يؤمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار وان يكفروا بذلك آخر النهار لعل المومنين يرتابون فى صحة شريعتهم وصدق نبيهم فيرجعوا عن دينهم فلما كشفت آيات القرآن ما كانوا يبيتون اخذ المؤمنون حذرهم فلم يقعوا فى الفخاخ التى كانت تنصب لهم .

ايقن مسلمو صدر الاسلام بصدق قوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) فكانوا على عدلهم فى اهل الكتاب واحسانهم اليهم لا يغفلون طرفة عين عما تضمره صدور أولئك من بغض الاسلام وكرههم للمسلمين وانه لولا ما كان للعالم الاسلامى اذ ذاك من الكلمة العليا والسلطان الشامل ما خضعوا لا حكامهم ولا أبقوا على واحد منهم . فكان ذلك السلف الصالح يجمع الى الاحسان الى اهل الكتاب واقامة موازين العدل فيهم ذلك الحذر والحيطة التى سودتهم وجعلتهم ملوك الارض وحماة الضعفاء وملجأ المضطهدين قرونا عديدة . فمع دخول عشرات الملايين من اهل الكتاب والمجوس بآسيا وافريقيا واوربا وجزائر البحار والمحيطات فى دائرة حكمهم ماسجل التاريخ يوما انتقض عليهم فيه رعاياهم أولئك خلال عدة قرون . بل كانوا يعيشون هادئين ساكنين لا يتمكنون من انتقاض ولا يستطيعون سبيلا الى

مكيده .

ومازال ذلك شأن المسلمين فى رعاياهم من اهل الكتاب حتى تمكنت الشهوات من نفوسهم وجهلوا الكتاب كتاب الله تعالى فعميت قلوبهم عن ان تفقه واعينهم عن ان تبصر وهنالك تمكنت الغفلة منهم حتى انقلبوا حطبا لنيران الفتن الصليبية فى الاندلس قديما وفى الروملى الشرقى والبانيا حديثا .

يتلو المسلمون فى كل مكان وكل آن الآية التى نحن بصدد تفسيرها اليوم وهى تنادينا (مايود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم) فمن منهم تدبرها ذات يوم فاتقى كيد أولئك الاشرار بشىء من الحيطة والحذر ! كلا فلقد تمر هذه الآية وكثير من اشباهها باسماعهم وهم لاهون معرضون (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون)

ان ديننا الشريف وشريعتنا الفطرية السمحة لا تبيح لنا ان نعدو على احد ولا ان نظلم من خلائق الله تعالى حتى الحيوان الاعجم ولكنه مع ذلك حذرنا ان نهن او نغفل حتى لا ننقلب فريسة لكل مفترس وحربا لكل معتد جبار .

فاما القرآن الكريم فانه يقص علينا من العبر والعظات ماقد ضيعناه فضيعنا واستخففنا به فذللنا وصغرنا .

واما السنة المصطفوية فان فيها من سيرة فخر الكائنات وسياسته مالو وعته الحكومات الاسلامية ما تداعى بنيانها ولا تنقضت اركانها.

ولولم ينقل الينا منها غير ماروى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله انه قال (١) (بعثت بين يدى الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعلت الذلة والصغار على خالف من امرى) وقوله صلى الله عليه وسلم فيما روى البخارى (أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا القيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف) لولم ينقل الينا من سنة رسول الله فى السياسية سوى هذا لكفانا هداية ورشدا

كان المسلمون الاولون يقولون لحلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد فكان هؤلاء يقولون ما هذا الذى يدعوننا اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيرا فنتبعه فجاء فى سبيل تكذيبهم وكشف مستور ضمائرهم قوله تعالى (ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم) ناطقا باصرح عبارة وافصح بيان ان هؤلاء لا يودون ان يصيب المسلمين من الخير شيء ما كثيرا كان او قليلا ولكن اغرار المسلمين الذين لا يدركون مقاصد كتاب الله ولا يعون آياته المحكمة قد طبع الجهل على قلوبهم فضلوا فلا يهتدون سبيلا . ضلوا فلم يميزوا بين الصديق والعدو ولم يستطيعوا ان يفرقوا بين القلوب الممتلئة رحمة والصدور المتدفقة حقدا وحنقا . هل افادتهم الحوادث الفاجعة والارزاء الموجعة وهل ايقظتهم النكبات ونبهتهم نذر السوء المتعاقبة فيهم دون انقطاع ؟ كلا فانهم اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون .

(١) الجزء الاول من تفسير ابن كثير — صفحه ٢٥٦

مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ . أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ . وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما أخذ يدعو الى الاسلام المشركين واهل الكتاب امعنوا فى ايذائه والاستخفاف به واعناته كانوا يسألونه ان يثبت دعواه بشيء من المعجزات وخوارق العادات فكان صلى الله عليه وسلم يرجع بهم الى الجواب عما هو من حدود وظيفة الرسل . ولطالما تنصل الرسول من اجابة مطالبهم مرشدا لهم الى ما قصد من شريعته وما هو الا اصلاح شؤن الانسان وتمكينه من سعادة الدارين .

ولم يكن لجاج العرب فى طلب الآيات الخارقة للعادات من النبى صلى الله عليه وسلم ناشئا عن ترو وصدق رأى وسلامة قلب وانما كانوا يتشبثون بها اما عبثا او عنادا او عملا بما ورثوه عن آبائهم الاولين مما لا يطابق مقتضيات الفطرة السليمة ولا يجامع سنة الله التى ليس

لها تبديل . ولوكانوا فى الاخلاص كمايزعمون ماكانت تزيدهم الآيات السماوية عنادا وتكذيبا. فكم ارسل الله من معجزة وكم ايد انبياءه ببالغ آياته فهل اغنتهم هذه الآيات فى سبيل التبليغ والتبشير شيئا . كلا فقد نزل فى بيان حالهم قوله تعالى (ونخوفهم فما يزيدهم الاطغيانا كبيرا)

كم اظهر الله على ايدى انبيائه من آية وكم انسى طول العهد باحدى المعجزات قوما فارسل الله لهم خيرا منها اومثلها. ولابدع فالله تعالى على كل شئ قدير وكيف لا وله ملك السموات والارض وما لهم من دونه من ولى ولا نصير .

فاذا نسخ الله احدى الآيات ومحاها كاية الليل مثلا فانه يعقبها بمثلها او بما هو خير منها وهو آية النهار (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب)

واذا انسى بعد العهد قوما احدى آيات الله المعجزة فان الله قادر على ان ينزل آية مثلها او اعظم منها (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون)

كان الرسول عليه السلام كثيرا مايحزنه استهزاء الكافرين به وانكارهم رسالته كلما طالبوه بمعجزة فلا ترسل اليهم . (ولقد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون) وكذلك كان عليه السلام لشديد حرصه على اسلامهم وسلامتهم يكبر عليه اعراضهم عن قبول دعوته (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا) لهذا حسن ان تصاغ فى مخاطبة الرسول عليه السلام الآية التى نحن بصدد تفسيرها على النحو الذى

رأيت والا فهو عليه السلام لا يجهل ان الله على كل شئ قدير وان له ملك السموات والارض وما كان ليخاطب بهذا لولا ما كان يساور نفسه من الهموم والقلق كلما الحفوا فى طلب تلك الآيات على النحو الذى اوضحنا حتى لقد كادوا يزلون قدمه عليه السلام لولا عصمة الله له وحفظه اياه (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف المماة ثم لا تجد لك علينا نصيرا) ويتمثل لك سر هذا جليا فى قوله تعالى (وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض اوسلما فى السماء فتأتيهم باية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين)

والواقع ان عدم اجابة الله نبينا الاكرم الى ما كان يطلبه منه الكفار من المشركين واهل الكتاب من الآيات والمعجزات لم يكن الا لانه تعالى علم من امرهم انهم لا يؤمنون ولوجاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين) وقد جاء نصا فى هذا المعنى قوله جل شأنه (وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا)

بعد ان بين الله تعالى ان فى وسعه ارسال الآيات وانه لا يعجزه شئ فى الارض ولا فى السموات وانه اذا محا شيئا من آياته او اطال عهد خلائقه بها فانه يقدر على ان يأتى بمثلها او خير منها شرع يقرع العرب الذين كانوا يلاجونه عليه السلام ويلحون عليه فى طلب الآيات فقال (ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل)

جاء موسى قومه بالتوحيد والواح كتب الله فيها ماشاء من العظات والاحكام فلم يثبتوا على توحيدهم بل جعلوا يطلبون من موسى تارة ماهو عنت محض وتارات ماهو شرك مبين (قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهه) و (قالوا ارنا الله جهرة)

على أننا لانرى من بأس ان يكون الخطاب فى قوله تعالى أم تريدون ان تسألوا رسولكم (الآية) لعامة المسلمين الذين دخلوا فى الاسلام ولقرب عهدهم بالوثنية والكفر لم يرسخ التوحيد فى قلوبهم بل كانت تعاودهم نوبات الشرك والاعتقاد فى الاوثان والتماثيل ونحوها فكان صلى الله عليه وسلم يعالج امراضهم هذه بالتذكير والعظات والهداية الى الطريق السوى وكانت تتنزل فى ذلك الآيات .

ومن هذا الباب مارواه الامام ابن جرير فى تفسير قوله تعالى (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم) عن أبى واقد الليثى ان المسلمين خرجوا من مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها اسلحتهم يقال لها « ذات انواط » قال فمررنا بسدرة خضراء عظيمة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال قلتم والذى نفسى بيده كما قال قوم موسى لموسى (اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون) وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن سنان بن سنان عن ابى واقد الليثى قال خرجنا مع رسول الله قبل حنين فمررنا بسدرة فقلت يا نبى الله اجعل لنا هذه ذات انواط كما

للكفار ذات انواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة و يعكفون حولها فقال الرسول (الله أكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة . انكم تركبون سنن من قبلكم .) مما قدمنا هنا يتجلى ان جهال المسلمين فى بدء اسلامهم كانوا يحنون فى بعض الاوقات الى شىء مما كانوا يفعلون فى جاهليتهم لابغضا فى الدين ونفورا من التوحيد و انما هى نتائج الالف والعادة الطويلة. ويدلنا على ان الامثل حمل الآية الكريمة على ماكان يجول فى صدور المؤلفة قلوبهم من امثال تلك الوساوس التى سردناها فى حديث السدرة ذات الانواط ماختمت به الآية هذه من قوله تعالى (ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) اذ تبدل الكفر بالايمان لايكون الا حيث يكون الاسلام قائما سابقا . فختم الآية بهذه الفاصلة يرشد الى انه ليس الكفار من اهل الكتاب والمشركين هم المعنيون بالخطاب وانما هو خطاب لقريبى العهد بالتوحيد من المسلمين

وخلاصة القول ان سياق الآيات التى نحن بصددها وكذا ماجاء فى تضاعيفها من المعانى والاشارات يدل على ان كلمة الآية التى جاءت فى قوله تعالى « ماننسخ من آية او ننسها » انما هى الآيات الدالة على وجود الله و وحدانيته او على تأييد رسله . وبحسبك ان تتدبر ماجاء عقب ذلك من قوله (ألم تعلم ان الله على كل شىء قدير) و قوله (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير) فان الرجوع بالمخاطب الى ان الله قدير على كل شىء وانه مالك السموات والارض وان ليس لاحد دونه من ولى ولا نصير كل

هذا يشير الى انه تعالى لايعجزه ان يأتى بمعجزة اوآية نسخها ومحاها اوطال عهد الناس بها فنسوها .

ومن هذا القبيل قوله تعالى (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لايعلمون) فان عبارة « قادر » تنبئ بما كان يقترحه الكفار من المعجزات الشاقة كما فى آية (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجرلنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا اوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتى بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه)

فعاندو المشركين كانوا لايكفون عن ملاجة الرسول عليه السلام ومطالبته بخوارق العادات ونحوها ثم كانوا يسخرون منه اذالم يجبهم فتارة يقولون ان الله قدتخلى عنه وتارة يد الله مغلولة وطورا ان اله محمد عاجز وطورا ان الله فقير و نحن اغنياء. فآية (ماننسخ) التى نحن بصددها نزلت فى الردعلى من بلغ بهم التعنت والكفر حدا عيروا فيه الرسول اذلم يجبهم الى ما كانوا يطلبون من المعجزات بان الهه عاجز لايقدرعلى ان يؤيد رسوله بما طلبوه من الآيات .

لذلك تخاطب الآية الكريمة الرسول الايعبأ بسخافاتهم وهذيانهم وفرط كفرهم فلو انهم حكموا عقولهم واتبعوا الانصاف بوجه مالعلموا ان الله على كل شئ قديروان الله له ملك السموات والارض فلم يكن كفه عن ارسال الآيات آونة الى رسوله الا الحكمة ولوشاءالله لانزل آية بعدان

يمحو أخرى او بعد ان يطول العهد بها فتنمحى من الاذهان . هذاقولنا فى الآية الكريمة وللمفسرين هنا كلام طويل لا نريد ان نناقشهم عافاهم الله فيما زلت فيه اقلامهم منه . ولكن لابدلنا من الاستطراد بذكر كلمة فى امر النسخ شرعاوهو نسخ الاحكام الشرعية الواردة فى آيات القرآن الكريم. ذلك ان طائفة من المفسرين ذهبت الى ان المراد بآية فى قوله تعالى (ما ننسخ من آية اوننسها) هى آيات القرآن الكريم . ولم يراعوا اصلحهم الله ذوق القرآن ولا اسلوبه العربى ولا أنعموا النظر فى سياقه بل اصروا على ما فهموا وخاضوا فيما زعموا فقتحوا بذلك لاهل البغى والعدوان من الصليبين وغيرهم ابوابا واسعة للنقدوالطعن والتعيير والفحش.ولكم خاضت القساقسة فى امر النسخ هذا وباغتوا عامة المسلمين بما امكنهم ان يستنبطوا من اقوال المفسرين وعلماء الاصول مماتذرعوا به (حقا اوباطلا) الى الحط من كرامة القرآن الكريم والصاق الهنات والمناكير بالشريعة الغراء .

لهذااجدنى مضطرا الى معالجة هذا الباب لا لاننى ارى حمل الآية الكريمة عليه وان النسخ فيها هو نسخ آيات القرآن وانما ذلك لان جل السلف تعاقبوا على ولوجه وتواطئوا على المعنى الذى خاضوا فيه فاقول وبالله تعالى الهداية والتوفيق .

اعلم ان نسخ الله لاحكامه او لآية من آيات كتبه السماوية انكره اليهود والمسيحيون وقال به عامة المسلمين وخاصتهم الاابامسلم بن بحر المفسر فانه مع قوله بجواز وقوعه عقلا ينكر حصول شئ منه القرآن الكريم .

وقبل ان نبدى رأينافيما قام من الخلاف فى ذلك بين ابى مسلم وغيره يجمل بنا ان نجادل اهل الكتاب فيما زعموه من عدم وقوع النسخ ونصدهم عن حملاتهم المنكرة الفاحشة التى يحملونها علينا .

لاجرم ان الله تعالى ارسل رسله بالكتب القدسية لهداية العالم وسلامتهم من الزلل فى الدنيا والآخرة .

ومعلوم ان الطبائع البشرية مختلفة وان الشئون الاجتماعية فى الامم المختلفة متغايرة . واذا كانت الاحكام التعاملية لايراد منها سوى اصلاح الشئون الحيوية واقامة الحدود بين الجماعات والافراد حتى لايبغى احد منهم على آخر كان لابد فى تقرير الاحكام وتقديرها من مراعاة طباع الامم الذين يراد تكليفهم بها .

ولا ريب ان الله تعالى هو العليم بعباده الحكيم فى اعماله ومن اولى من الله بالحكمة والسداد وهو اللطيف الخبير .

لقد ارسل الله الى الامم من الرسل والانبياء مالم يقص علينا الاقليلا من امرهم . فهل يرى السخفاء من اليهود ان تكون احكام الله الى تلك الامم واحدة ومنها الراقى والمنحط والبربرى الغشوم والجبار والرحيم والمدنى والبدوى والدارس والامى . ام يريدون الا تتغير احكام الله فى أمة يصعد بها رسولها فى معارج الرقى والفلاح رويدا رويدا ويتعهدها بالتهذيب والتثقيف قليلا قليلا

اللهم ان العقل ليجوز وقوع ذلك النسخ . والمشاهدات اقطع دليل على تحقق ذلك . ان الاحكام الالهية والاحكام الوضعية سواء فى قبولها النسخ وان يستبدل بواحد منها غيره طبقا لمقتضيات الاحوال والشئون

الحيوية والاجتماعية .

لهذا نرى المجالس التشريعية فى سائر الممالك لاينفكون يغيرون ويبدلون ويعدلون كلما دعت حاجة اممهم الى شئ من ذلك .

ولا يعقل ان الله وهو العليم الحكيم يفرض على امة من الامم عين مايفرض على امة اخرى لا تشاكلها فى اطوارها وشئونها الحيوية والاجتماعية او ان ينزل يوما ما على امة حكما مناسبا لحالتها فى ذلك اليوم ثم يبقى ذلك الحكم عينه عزيمة ثابتة لاتنسخ ولا تعدل تلزم به الامة ولو اختلفت المقتضيات وتباينت الاطوار والشئون فلصاحب الشرع ان يفرض حكما لمصلحة حتى اذا توفرت الدواعى الى تغييره نسخه بحكم آخر أليق بالمصلحة واضمن للعدل والاستقامة . وهذا مالا ينكره الا مكابر عنيد او جاهل لايعى

وقد كتب العلماء فى هذا الموضوع واروا بكل وضوح كيف وقع النسخ بالفعل فى التوراة والانجيل . وضربوا الامثلة العديدة التى لا يقوى احد من اهل الكتاب على نقض شئ منها

ولا يسع هذا المقام استيعاب جميع ما أتوا عليه فى هذا الباب من الشواهد والامثلة المفحمة فلنجتزئ هنا بذكر طرف منها (١) فنقول

قد كانت سارة زوجة ابراهيم الخليل عليه السلام اخته من ابيه كما يفهم من الآية الثانية عشرة من الباب العشرين من سفر التكوين (٢) اذ يقول فيها (انها اختى بالحقيقة ابنة أبى وليست ابنة امى وقد تزوجت

(١) من شاء استيعاب هذا المبحث فعليه بكتاب اظهار الحق للاستاذ رحمة الله الهندى رحمه الله تعالى

(٢) راجع الترجمة العربية سنه ١٦٢٥ وسنه ١٦٤٨

بها) ومعلوم ان زواج الاخت فى الشريعة الموسوية حرام وفى منزلة الزنا.والزوج ملعون وقتل الزوجين واجب كما تدل عليه الآية التاسعة من الباب الثامن عشر من سفر الاخبار وهى (لا تكشف عورة اختك من ابيك كانت او من امك التى ولدت فى البيت او خارجا من البيت) ويؤخذ لعن المتزوج باخته من الآية الثانية والعشرين من الباب السابع والعشرين من كتاب الاستثناء اذ تقول (ملعون من يضاجع اخته من ابيه وامه)

فلو لم يكن الاقتران بالاخت جائزا قبل آيات التوراة هذا لما اتخذ ابراهيم اخته سارة حلاله ولكان داخلا فى جملة من لعنتهم آيات التوراة

ومن الامثلة المثبتة لوقوع النسخ فى الكتب السابقة للقرآن ان الشريعة الموسوية تبيح للرجل ان يطلق زوجته بكل علة وان يتزوج بها رجل آخر بعد الخروج من بيت الاول كما فى كتاب الاستثناء (٣) ولكن لا يجوز الطلاق فى شريعة عيسى الا بعلة الزنا . وكذا لا يجوز لآخر زواج المطلقة بل هو بمنزلة الزنا (٤) وقد اعترض الفريسيون على عيسى فى هذه المسألة فاجابهم بقوله (ان موسى ما جوز لكم طلاق نسائكم الا لقساوة قلوبكم واما من قبل فانه لم يكن كذلك وانا أقول لكم ان كل من طلق زوجته لغير علة الزنا وتزوج بأخرى فقد زنى ومن يتزوج بتلك المطلقة يزنى)

قال الاستاذ رحمة الله الهندى بعد شرح ماسبق فعلم من جوابه انه

(٣) راجع الباب الرابع والعشرين منه
(٤) راجع الباب الخامس والتاسع عشر من انجيل متى

ثبت النسخ فى هذا الحكم مرتين مرة فى شريعة موسى ومرة فى شريعته هو .

ومن الامثلة ان الحيوانات كان كثير منها محرما فى شريعة موسى ثم جاء عيسى فاحلها ناسخا احكام التوراة فيها (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم)

ومنها تعطيل الاعمال فى السبت وقتل من يعمل فيه فقد جاء فى سفر العدد قوله (١)

(ولما كان بنو اسرائيل فى البرية وجدوا رجلا يلقط حطبا يوم السبت فاقبلوا به الى موسى وهرون والجماعة كلها فالقوه فى السجن لانهم لم يكونوا يعرفون ما يجب ان يفعلوا به فقال الرب لموسى فليقتل هذا الانسان ويرجمه كل الشعب بالحجارة خارجا من المحلة فاخرجوه ورجموه بالحجارة ومات كما امر الرب) وكان اليهود المعاصرون للمسيح عليه السلام يؤذونه ويريدون قتله لاجل عدم تعظيم السبت كما جاء فى آية (٢) (ومن اجل ذلك طرد اليهود عيسى وطلبوا قتله لانه قد فعل تلك الاشياء يوم السبت وقد بين العهد القديم علة تقديس يوم عيد الفطير بقوله (بانى اخرج جيوشكم من ارض مصر فاحفظوا هذا اليوم الى اجيالكم سنة الى الدهر) (٣) ثم جاءت شريعة عيسى فنسخت

(١) راجع الباب الخامس عشر منه
(٢) راجع الآية السادسة من الباب الخامس من انجيل يوحنا
(٣) راجع الباب الثالث والعشرين من سفر الاخبار

جميع ذلك . قال بشوب هارسلى فى ذيل شرح آية الاعياد (زال سبت كنيسة اليهود ومامشى المسيحيون فى عمل سبتهم على رسوم طفولية الفريسيين)

ومما لاينبغى اغفال الاستدلال به حكم الختان فقد اوجبته شريعة موسى تأبيديا بل قال الاستاذ رحمة الله ان حكم الختان كان ابديا فى شريعة ابراهيم عليه السلام (١) ولذلك بقى هذا الحكم فى اولاد اسماعيل واسحاق وبقى فى شريعة موسى

وقد ختن عيسى عليه السلام (٢) وللمسيحيين الى هذا اليوم صلاة معينة يؤدونها فى يوم ختان المسيح تذكرة لهذا اليوم . وكان هذا الحكم باقيا حتى آخر عهد المسيح وانما نسخه الحواريون فى عهدهم (٣) وتشدد مقدسهم بولس فى نسخ هذا الحكم و اغرق حتى زعم ان من اختتن لاينفعه المسيح (٤) على ان المسيحيين لم يكتفوا بان تنسخ شريعة موسى بشريعة مثلها الهية كشريعة عيسى بل ان الحواريين انفسهم كانوا هم الذين ينسخون مايشاءون . ومن هذا انهم بعد المشاورة نسخوا جميع الاحكام العملية فى التوراة الا اربعة ذبيحة الصنم والدم والمخنوق والزنا فابقوا حرمتها (٥) ثم جاء قديسهم بولس بعد ذلك فاحلها جميعا الا الزنا

(١) راجع الباب السابع عشر من سفر التكوين
(٢) راجع الآية ٢١ من الباب الثانى من انجيل لوقا
(٣) الباب الخامس عشر من اعمال الحواريين .
(٤) راجع الباب الخامس من رسالته الى اهل غلاطيه .
(٥) راجع الباب الخامس عشر من اعمال الحواريين .

فممنا اسلفنا تجلى ان النسخ ونعنى بذلك دائما نسخ الاحكام الشرعية باحكام شرعية سماوية كان موجودا معروفا فى اليهود والنصارى من اهل الكتاب بل منهم من من قام فجعل ينسخ احكام الله تعالى بفتواه كانهم يرون تخطئة الله تعالى فيما انزل على موسى من احكامه ولم يتريثوا حتى ينزل الله شريعة تنسخ احكامها ما يشاء هو من الاحكام السابقة لها .

فخير لاهل الكتاب بدل ان يهاجموا المسلمين وان يعيروهم بما الى بلغته افهامهم السقيمه من مثالب الاسلام ونقائص القرآن ان يرجعو نفوسهم فيذكروا ما فعلت ايديهم بكتبهم من التحريف والتبديل (١) وما نسخ قديسوهم من احكام العهد القديم وهم يعتقدون انها من عند الله فانهم سيسترون اذ ذاك او جههم خجلا وخزيا مما فعلت ايديهم من العبث بدينهم وباحكام انبيائهم الذين يقدسونهم ويعبدونهم من دون الله .

وانا على ثقة انه ما جرأ اهل الكتاب على مجادلة المسلمين فى امثال مسألة النسخ الا اعتقادهم ان المسلمين غارقون فى جهالتهم مهملون البحث فى تلك الكتب فهم لا يعرفون شيئا من مخازى اهل الكتاب ولا يعلمون كيف عبثت ايديهم بما يسمونه كتبهم المقدسه . ولو ان اهل الكتاب علموا انهم انما يخاطبون من المسلمين من هو ملم بسوءاتهم عليم بتحريفهم وتبديلهم وقبيح تاريخهم ما اجترأ واحد منهم ان يفتح فمه فيرسل كلمة واحدة لدعوة او مجادلة. فليدرس المسلمون من الكتب

(١) راجع الجزء الثانى من السنة الرابعة لمجلة الهدايه .

ما استوعب تلك المخازى والفظائع فان ذلك لهم جنة ووقايه (١) فلننتقل الآن الى الكلام فى امر النسخ بين علماء الاسلام وان كنا كما اسلفنا لانرى حمل الآية التى نحن بصددها على موضوعه. فيما ذكرنا آنفا بلاغ مبين.

اسلفنا ان الشارع قد يضع حكما ما ثم للحكمة والمصلحة يجوز ان ينزل حكما آخر ينسخه. وهذا امر لا ينافى مقتضى العقل ولا يدل على ان الله تعالى يجهل المصلحة الحقيقية فيبرم ثم ينقض ويقدر حكما ثم يتبين له المصلحة فى غيره فينسخه. كلا. فان النسخ عندنا ان يقدر الله حكما ليكلف به أمة او طائفة لاسباب ودواع حتى اذا تخلفت تلك الدواعى والاسباب وقامت دواع اخرى مقامها ينسخ الله ذلك الحكم ويفرض فى مكانه غيره فتقدير الحكم الاول كان للمصلحة والعدول عنه بفرض الحكم الناسخ له انما هو للمصلحة فليس فى ذلك ما يزعمه اليهود وغيرهم من البداء او الجهل ولهذا اجمع المسلمون على جواز وقوعه عقلا اللهم الا ما يروى الفخر الرازى من ان بعض المسلمين ينكره (٢) بيد ان الجمهور من علماء الاسلام يقولون بجوازه عقلا ووقوعه بالفعل فى الشرائع السماوية جميعها حتى القرآن الكريم. ولم ينفرد منهم بانكار وقوع النسخ فى القرآن سوى ابى مسلم بين بحر فانه قال كما اسلفنا ان النسخ مع جواز حصوله عقلا لم يتطرق الى شئ من احكام القرآن الكريم.

(١) ان اجمع ما كتب فى هذه الموضوعات واجدرها بالدراسة كتاب اظهار الحق للسيد رحمة الله الهندى وهو يوجد فى كل مكان تقريبا.

(٢) صفحة ٤٥٩ من الجزء الاول من تفسير الرازى.

ولو ان القرآن الكريم صرح بانه وقع فى آياته النسخ ما وسع احدا القول بغيره وانما هى مسألة اجتهادية اختلفت فيها آراء العلماء طبقا لاجتهادهم. هذا بالنسبة للاحكام التى جاء بها القرآن الكريم. اما نسخ القرآن لبعض احكام التوراة فانه منطوق به فى بعض آى القرآن الكريم. فانظر بعد ان اعلمنا الله بعض ماحرم على اليهود بقوله (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم) كيف قص علينا ان الاسلام قد جب هذا الحكم وسرد علينا ما ابقى تحريمه بآية (قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به)

ان نسخ القرآن لغيره من الشرائع السابقة أمر مفروغ منه وانما البحث فى هل فى القرآن آيات نسخت آيات منه اخرى.

احتج المتمسكون بوقوع النسخ فى القرآن بجملة آيات ظنوا انها صريحة فيما ارتأوه فلا بد لنا من تقرير رأينا فيها واحدة واحده.

(الاول) قوله تعالى « ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها » وقد تبين مما اسلفنا ان ليس المراد بآية هنا احدى آيات القرآن وافضنا فى بيان ذلك آنفا بما لم يبق معه ريب لمرتاب.

(الثانى) قوله تعالى « يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون. الآن خفف الله عنكم

وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين »

قال المستدلون بالنسخ ان الآية الثانية المخففة ناسخة لسابقتها وزعم غيرهم انه لانسخ وان الايتين نزلتا معا فى وقت واحد مستدلين على ذلك بانهما مقترنتان فى الوضع وان القرآن لم يأت بما يدل على نسخ الثانية للاولى فلنترك ماشجر بين هؤلاء من التنازع والجدل ولنعكف على تدبر هاتين الآيتين والبحث فى احكامهما.

ان اقتران الآيتين فى التلاوة لايدل على اقترانهما فى التنزيل فكم من آية قرنت باخرى فى الوضع وبينهما فى التنزيل فترات طويلة.

ومما يدل على وقوع التراخى بين هاتين الايتين فى الوحى ماصدرت به الآية الثانية من كلمة (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) فان صياغة الآية وتنسيقها واسلوبها البلاغى ينافر بلاشك قول من يزعمون ان الايتين نزلتا معا وان الاولى لم تكن سوى وعد من الله ورجاء ان يقوى المسلمون على ان يقاتل الواحد منهم عشرة فان ذلك مالايقول به العليمون بذوق اللغة العربية العارفون بكنه علم الله و حكمته وصدق وعده. وتأويل هاتين الآيتين على ماترى ان الله فرض اول الامر على المسلمين ان يقاتل الرجل منهم عشرة وقد ضمن له الغلبة عليهم. ولقد صدقهم الله اذ ذاك وعده. ذلك ان المسلمين كانوا اذ ذاك قليلى العدد جدا وقد جرت سنة الله فى خلقه ان الانسان اشجع مايكون وهو ممتلئ ثقة بقوته او ممتلئ يأسا من نصرته ففى هاتين

الحالتين يكون الانسان بالغا غاية الجرأة والاقدام. والعارفون باحوال النفس واطوارها لايشكون فى صحة هذه القضية وثبوتها.

اما اقدام الانسان عند استيثاقه من قوته وجزمه بحسن العاقبة فهذا مالايحتاج الى دليل وانما علينا ان نبين كيف ان اليأس قد يفضى بالانسان الى حد لايرى معه غير التقدم والاستماتة. قد يحدق قطاع الطريق بتاجر فى البادية ليسلبوه مامعه فما داعى ان يفعل التاجر ذلك فى امثال هذه الحالة؟ تدل المشاهدات على ان ذلك التاجر وهو فرد اذا ماايقن ان حياته على خطر وان اللصوص لايكتفون بتجريده مما معه من الاسباب والاموال يغلى دمه فى عروقه ويذهل عقله عن انه فرد واحد وانه لايصيب اولئك وهم كثير بشئ من الاذى فان كان معه شئ من اداة القتال جرده لمناضلتهم. وقد يمد يده الى هراوة او نحوها فيحاول ان يدرأ بها الاذى عن نفسه. ولو تدبر قليلا لعلم ان ذلك لايجديه شيئا.

ومما يصلح مثلا لذلك المرأة ترى ولدها وقد اختطفه الذئب اوالنمر فتغلى الدماء فى عروقها وتتكاثر على دماغها وتضطرب اعصابها حتى لتلقين بنفسها بين يدى ذلك الحيوان المفترس غير شاعرة بما فعلت. ولو انها عقلت لا يقنت ان فى تلك المخاطرة هلاكها والتحاقها فريسة بابنها.

هذان مثالان يريان المرتاب صدق ماقدمنا من ان حالتى اليأس المطلق والرجاء المطلق سواء فى انهما يكسبان اصحابهما من الاقدام والشجاعة اقصى غايتهما (١) فكما ان اليأس البالغ يسلب الانسان قوة

(١) لهذا امثال كثيرة تضرب باللغة العاميه فمن ذلك قولهم فى القسم الاول العافية هبله (اى بلهاء) وفى القسم الثانى ان الذى على الخازوق يسب السلطان. ومن ذلك قولهم قاتل قتال المستميت.

التفكر ويدفعه الى ماقد يكون خطرا عليه وتهلكة له كذلك الرجاء البالغ والثقة التامة تحول بين عقله وبين التفكر والتدبر وحسبان العاقبة فان من شأن من يرى فى نفسه القوة البالغة الاستخفاف بغيره والاستعانة بعدوه .

ولا يخفى ان من مواطن اليأس التام الذى هو من مباعث الشجاعة ومناشئ الاقدام شعور انسان او جماعة بالضعف واعتقاد ان لا مفر من التهلكة والفناء .

واذ كان المسلمون فى بدء امرهم قلالا ضعافا واعداؤهم اعزة شدادا كان لا بد للمسلمين ان يدفعوا عن دينهم أذى قريش ومؤامراتهم المتسلسلة المتصلة فتكليف الله اياهم اذ ذاك ان يقاتل الواحد منهم عشرة والمائة الفا والالف عشرة آلاف لم يكن بالعبث ولا مما لا يطاق من التكاليف وانما كان لحكمة يعرفها العليمون باحوال الانفس البشرية واطوارها .

ان الله كلفهم بذلك وهو يعلم أنهم لضعفهم سيقاتلون قتال اليائس المستميت وقد اراد عز شأنه ان يبلغوا اقصى غايات الاقدام والشجاعة فوعدهم مع ذلك النصر والغلب . ومن هذا ما قص الله علينا من امر المسلمين وكانوا اذلة ضعفاء فى بدر اذ يقول (واذ نصركم الله ببدر وانتم اذلة) فضعف المسلمين اذ ذاك ووعد الله اياهم ان تكون لهم احدى الطائفتين (٢) هما سر ثبوت قدمهم فى الحرب وصبرهم البالغ على بلائها

(٢) العير او المقاتلون .

حتى كتب الله لهم النصر وظفرهم باعدائهم المشركين . كذلك كان شأن المسلمين فى بدء الاسلام ايام كانوا اذلة ضعفاء . فلما كثر عددهم تغيرت اطوارهم وتبدلت اخلاقهم واكتسبت نفوسهم صفات غير التى كانت لهم من قبل .

ذلك ان الجماعة متى كثر عددها كثرت فيها الخيلاء والعجب وفشا فيها التواكل فتهن بذلك العزائم ويغلب الاستخفاف بالعدو والاستهانة بامره فيقل بذلك الاقدام والشجاعة فلا تقوى جماعة على مقابلة امثالها من الاعداء . ولهذا امثال كثيرة جدا يبصرها المتدبر فى كل صفحة من صفحات التاريخ . ومصداق ذلك من القرآن الكريم آية (ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) فان فى ذلك ما يوضح لك كيف تكون الكثرة مجلبة للخيلاء والعجب مبعثا للتواكل ووهن العزيمة حتى ليفضين ذلك بالجيوش الكثيرة الفيالق الغفيرة السواد الى الفشل والخيبة والهزائم .

واقرب الامثلة الناطقة بذلك ما اصاب الجيوش العثمانية من الهزائم والخسائر فى الحروب البلقانية الحاضرة فان وفرة عددها وكثرة اسلحتها قد اعمتا ابصار قوادها عن الاخذ باسباب الحذر والبحث فيما عليه الاعداء من البأس والقوة حتى لقد سمعنا كبيرها يقف امام الضباط يوم اعلنت الحرب فيقول خذوا ملابسكم الرسمية معكم لترتدوا بها فى صوفيا عاصمة البلغار ثم التحم الفريقان فاصاب جيوشنا من العار والخزى والخسائر الجمة فى ثلاثة اسابيع ما لا يعرف التاريخ له شبيها منذ بدء وجود الاسلام

فاذا كان من نتائج كثرة الجماعات ومضاعفة عدد المقاتلين ما اوضحنا لك كان من مقتضيات حكمة الله الا يبقى حكمه الاول فى المسلمين وقد زاد عددهم وكثر سلاحهم وفشا فيهم ما فشا فى غيرهم من الامم سنة الله التى قد خلت فى عباده . بل يجمل باللطيف الخبير العالم بما تظهره الالسنة وما يخفيه الضمير ان يخفف الله عنهم تلك العزيمة الاولى بعد ان اعترى نفوسهم من الضعف والوهن ما لا يمكنها ان تحمل معه ذلك الحكم الاول. ذلك هو سر قوله تعالى (الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله) ومما قررنا يتبين ان القول بنسخ الاية الثانية للاولى فى هذا الموضع وجيه جدا وان من العبث محاولة صرف الاية عما تدل عليه بلفظها واسلوبها ومطابقتها للعقل والواقع .

(الثالثة) آية السيف. وهى « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد» فانهم يقول انها نسخت جميع ماعداها من آيات العفو والصبر والصفح. ويقول المنكرون للنسخ ان منزلة هذه الاية من تلك الآيات منزلة المقيد من المطلق وقد تقرر وثبت انه اذا كان هناك خاص وعام اومقيد ومطلق حمل العام على الخاص والمطلق على المقيد ولهم كلام طويل فى هذا المعنى.

ولقد قال الضحاك وعطاء والسدى ان هذه الآية منسوخة بآية القتال (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما مناً بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها) فاسير

المشركين على هذا لا يقتل صبرا بل يمن عليه بالاطلاق او يفادى بشئ من المال .

وقال ابن زيد الآيتان محكمتان قال القرطبي وهو الصحيح لان المن والقتل والفداء لم تزل من احكام رسول الله (ص) فيهم من اول حرب حاربهم وهو يوم بدر وقال الرازى ان الآيتين متوافقتان.

والذى نراه نحن ان آية السيف التى نحن بصددها نزلت فى معنى خاص. ذلك ان الله تعالى اراد ان يحظر على المشركين دخول مكة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. فهذه الآيات من سورة التوبة لمتدبرها ظاهرة فى الغرض الذى نزلت لاجله. يدل على هذا تأويل بعض العلماء قوله تعالى (واقعدوا لهم كل مرصد) بان يأخذوا عليهم جميع طرق مكة حتى لا يدخلوها. ومن ذلك ما رواه اسرائيل عن ابى اسحاق عن زيد بن تبيع قال نزلت براءة فبعث النبي ابا بكر ثم ارسل عليا فاخذها فلما رجع ابو بكر قال نزل فى شئ ؟ قال لا ولكن امرت ان ابلغها انا اورجل من اهل بيتى فانطلق الى اهل مكة فقام خطيبا فيهم باربع لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة. ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده الى مدته .

ولا يخفى ان منع المشركين من دخول مكة امر مقطوع به ومستمر ابد الدهر وقد جاء ذلك نصا فى آية (يايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) وهذه الآية نزلت فى السنة التاسعة من الهجرة وهى نفس السنة التى نزلت فيها سورة

التوبة بما فيها من آية السيف وغيرها . اذافالاكثار من الكلام فى هذه الآية يكاد يكون من العبث واللغو

(الرابعة) قوله تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر)

استشهد القائلون بوقوع النسخ فى آيات القرآن بهذه الآية . وظاهرها قد يشهد لهؤلاء . ولكن الحق هنا فيما نرى مع ابى مسلم الاصفهانى . ذلك انه يقول ان الراى هنا ان المراد بالآية المبدلة هى آيات الكتب السماوية السابقة وبالبدل آيات القرآن الكريم .

واذا علمنا ان هذه الآية الكريمة قد نزلت فى اليهود الذين ينكرون كل الانكار وقوع نسخ ما لآيات التوراة وكانوا كلما جاءهم الرسول عليه الرسول بما لاتهوى انفسهم استكبروا وكذبوا و (قالوا انما انت مفتر) زعما منهم ان الله لاينسخ شيئا مما حرمته عليهم او رسمته لهم التوراة وانه لاينزل وحى الله بشئ من ذلك . سهل علينا ان نفهم ان قد نزل فى الرد عليهم قوله تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين)

ثم ان التالى لما يجئ بعد آية التبديل هذه من آيات سورة النحل يجد اكثرها يشير الى هذا المعنى الذى اسلفنا . واعتبر ذلك بقوله تعالى (ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا انعمة الله ان كنتم اياه تعبدون . انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به) وبقوله

(وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) فانك تجدهما من وادى الآية التى نحن بصددها وما هى الا مجادلة لليهود ومحاجة لهم فيما زعموا من استحالة النسخ وتكذيب مايجى به القرآن الكريم ناسخا لتوراتهم ورافعا لشاق تكاليفهم (مصدقا لما بين يدى من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم)

ومن ادلة وقوع النسخ فى القرآن ان الزوجة المتوفى عنها زوجها كانت تعتد حولا كاملا كما هو مصداق آية (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج) ثم نسخ هذا الحكم بآية (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا)

ووجه دلالة هذه الآية الاخيره والآية الثانية على وقوع النسخ فى بعض احكام القرآن باحكام اخرى قرانية لا يأباه الا قليلو التحصيل من طلاب الاصول او الغلاة المغرقون فى ترويج آرائهم بالحق وبالباطل وقد علمت مما اسلفنا ان الحكمة الالهية اجدر ان تجعل تكاليف الله تعالى طبقا لما تسعه مقدرتهم واستعدادهم وما تبلغه طاقتهم . ومن غريب امر ابى مسلم انه لم يعتمد فى انكاره وقوع النسخ فى القرآن الا على سند واحد هو قوله تعالى اذ يصف القرآن الكريم (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) . ولو تدبر ابومسلم هذه الاية وامعن فيها النظر لرأى بعد موضوعها عن وادى مسألة النسخ .

ان هذه الاية يفسر مغزاها قوله تعالى فى آية اخرى (انا نحن

نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فالمعنى ان القرآن الكريم محفوظ من ان يصاب بشئ من الباطل كالتحريف والتبديل والزيادة والنقص كما حصل فى التوراة والانجيل ولا بشئ من الوساوس والدسائس التى كان يلقيها المضلون من شياطين الانس فى الاوقات التى كان يرتل فيها الرسول القرآن (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته)

بقيت هنا مسألة لابد لنا من التعرض لها. ذلك ان الذين خاضوا فى امر النسخ واسرفوا فى ترويجه وتأييده قد جعلوا المنسوخ اقساما ثلاثة احدها مانسخ حكمه وبقيت تلاوته. ثانيها ما نسخ تلاوة وبقى حكما. ويمثلون لهذا بما يروى من قولهم (الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله) ويقولون ان حكم الرجم باق وانما نسخت هذه العبارة تلاوة فقط .

ثم يقولون ان هناك قسما ثالثا وهو مانسخ حكما وتلاوة ويمثلون لهذا بما يروى من ان القرآن نزل فى الرضاع بعشر معلومات ثم نسخن بخمس معلومات فالعشر مرفوع التلاوة والحكم والخمس مرفوع التلاوة باقى الحكم .

هكذا قالوا ولو انهم تدبروا ما قالوا وتفكروا قليلا فى عاقبة اقوالهم هذه لحطموا اقلامهم وكسروا انا ملهم قبل ان يخطوا فى ذلك حرفا واحدا.
ان جميع ما ورد لاولئك القوم فى باب النسخ واقسامه كلام ساقط سخيف قد اصيب الدين الاسلامى بنتائجه السيئة وثمراته المرة .

ان القوم مع تعريفهم النسخ اصطلاحا بانه نسخ الاحكام العملية غير المؤبدة نجدهم بعد ذلك يتوسعون ويفسحون لانفسهم رقعة التصرف وتخطى الحدود التى رسموها بتعريفهم فتراهم يقولون بوقوع

النسخ فى بعض القصص اوالامثال كما انهم قد يقولون بجواز النسخ فى التلاوة فقط مع بقاء الحكم على ما كان عليه . ولا يخفى ان هذه افكار ساقطة وآراء سقيمة وان اطال فيها من لم يقدروا ان يزنوا كلماتهم او يكبحوا جماح اقلامهم .

قد نفهم سر نسخ حكم من الاحكام ونرى بابصارنا فى القوانين الوضعية والكتب السماوية لذلك الامثال الكثيرة ولكن هل يستطيع احد من اولئك الخاطئين ايضاح سر ما يدعونه من وجوه النسخ فى التلاوة دون نسخ الحكم؟
اذا كان القرآن الكريم هو القانون الالهى المحيط بما يلزم الناس من الاحكام الكفيلة بسعادة متبعيها فى الدنيا والآخرة فهل يعقل ان ينسخ الله ما يدل على بعض احكامه الثابتة الباقية من الالفاظ والعبارات؟
اللهم انه لايجوز ذلك الا معتوه لايعى اوجاهل لايفقه عاقبة ما تسجله يده من الظنون والسخافات. على انه كيف يتفق القول بجواز نسخ التلاوة دون الحكم والقول بان النسخ انما هو خاص بالاحكام غير المؤبده . يظهر ان هؤلاء غفلوا عن حدود تعريفهم فقالوا بنسخ التلاوة مع بقاء الاحكام . ثم اغرب من هذا كله ان يقولوا بانه وقع نسخ التلاوة ونسخ الحكم جميعا فى بعض آيات القرآن ولا سند لهم سوى بعض اخبار الآحاد التى لايجوزان تعارض او تناقض شيئا من القرآن الكريم الذى انزله الله وقام الرسول بتبليغه كما هو ثم استظهره الحفاظ فى عهد النبوة ومازال منذ ذلك العهد تستظهره ملايين الحفاظ من المسلمين فى كل جيل حتى انتهى الينا كتابا محفوظا متواترا

فالقول بان القرآن يحتوى على ما نسخ تلاوة مع بقاء حكمه من الايات

الفلسفة والأخلاق

ابن رشد و تعاليمه

٥

السعادة الاخروية

لقد اخذ الاعتقاد بالسعادة الاخرويه ادوارا كثيرة واخذت كل امة تفسره بما لا ينكره عقلها و لو شئنا ان نفصل اعتقادات الناس فى هذه المسألة لاحتجنا الى مجلدات ضخمة لذلك نريد ان نأتى بنبذة صغيرة نبين فيها التطورات التى مرت على هذه المسألة . اما آراء الناس فى هذه المسألة فتنحصر فى اربعة

(١) طائفة تنفى المعاد و تنكره وهؤلاء نفر من قدماء الطبيعيين لا يعتد برأيهم و لا يأبه لهم ولقد انكر عليهم قولهم و نقض براهينهم اكثر الفلاسفة

(٢) طائفة اثبتت السعادة الاخروية ولكن جعلتها للروح لا للبدن لانها رأت ان السعادة انما يحس بآثارها النفوس اما الاجسام فهى آلة للنفوس تتصرف فيه كما تشاء و تتوصل به الى ما تشاء . و هذه الطائفة الفلاسفة الالهيون

(٣) طائفة اثبتت المعاد والحشر للجسم و الروح معا و هو قول الاصفهانى و ابى زيد الدبوسى و كثير من المتصوفة

(٤) طائفة اثبتت المعاد للجسم و لكن لجسم آخر غير هذا الهيكل و قد ذهب الى هذا القول من نفا وجود النفس الناطقه المجردة و هؤلاء اكثر المتكلمين من المسلمين

و ينقل عن جالينوس التوقف فى هذه المسألة فانه قد تعارضت لديه ادلة الاثبات و النفى فتعذر عليه الترجيح و لقد كانت هذه المسالة شغله حتى فى مرض موته و لما لم يهتد الى حلها كبعض المسائل الأخرى التى حار فيها قال انى ما علمت ان النفس هى المزاج فتنعدم عند الموت فيستحيل اعادتها او هى جوهر باق بعد فساد البدن

منشأ الاختلاف

اما منشأ الاختلاف فى هذه المسألة فهو تمثيل الشرائع لها بصفات مختلفه و اساليب متنوعة فتارة تمثلها بما يلائم الروح و تارة تمثلها باللذائذ الجسمية و الشهوات الحيوانية لذلك اختلفت الآراء و تشعبت حسبما فهمت من تمثيل الشرائع و وصفها لها لذلك ترى المتكلمين من المسيحيين و المسلمين يرون

قول سخيف وهوس بين. وكذلك الاعتماد على خبر الاحاد فى ان احدى السور كانت طويلة فنسيت منها آيات او ان فلانا قال انه سمع آية كذا تتلى ثم نسخت انما هو طعن فى الدين وايذاء للقرآن وجهل بما يتقبله العقل السليم من الدرجات المتفاوتة بين المرويات فان من الجنون المحض ان يقبل فى نقض ركن من اركان القرآن الكريم المحفوظ المتواتر خبر الواحد ولو بلغ درجة الصحة التى اصطلح عليها علماء الحديث فان مبلغ ما تفيده اخبار الاحاد هو الظن (وان الظن لا يغنى من الحق شيئا) ولو عاش اولئك الذين ملئوا كتبهم بتلك الهذيانات لايقنوا ان جراتهم وتلاعبهم بكتاب الله ليسا جنونا فقط وانما هو جناية على القرآن والاسلام

ان اقوال أولئك المفرّطين ورواياتهم التى كانوا يتصيدونها من كل مرتع وخيم قد اصبحت اليوم معاول فى ايدى مبشرى الصليبيين يحاولون بها تنقيض اجزاء الاسلام . ولقد ظهرت كتبهم المضللة فهل نجد فيها سوى مايروونه عن أولئك المؤلفين .

اننا لم نمنع وقوع النسخ بتاتا ولكن اذا جاء فى القرآن الكريم مايدل على وقوع النسخ تقبلناه وكيف لا وهو الذى تطابقه الحكمة ويقبله العقل ويؤيده النقل ولكننا لا نقبل فى امر الكتاب الكريم لا سيما نسخ شئ من احكامه رواية من الروايات ولو دونها البخارى وايدها الاتقان وغصت بها كتب التفسير . وحسبنا ان الامام الشافعى رضى الله يقول لايجوز نسخ القرآن بشئ من الاحاديث مهما بلغت درجة صحة روايتها. واذا علمنا ان مبدأ تدوين الحديث كان على عهد عمر بن عبد العزيز (تولى سنه ٩٩ ومات سنه ١٠١) اذ أمر بذلك ابن شهاب الزهرى

مذاهب لاتتفق مع بعضها تمام الاتفاق و لا تلتئم تمام الالتئام لان كل طائفة ترى من تشبيهات الشرائع و وصفها للسعادة الاخروية مالاتراه الاخرى لذلك نرى القديس بولس يقول خلق الجسد مادة تزول وسيبعث على كيفية لاتقبل الانحلال لانه خلق جسدا حيوانيا و سيبعث جسدا روحانيا و المسيو سيداتى يقول ان السعادة الاخروية انما هى اعراس تتعاقب اثر بعضها و القسيس شريدنبورج رئيس مذهب كنيسة اورشليم الجديد يقول ان جميع اللذائذ الدنيوية لها نظير يماثلها فى الآخرة فهذه اقوال المسيحيين يناقض بعضها البعض مع ان دين القائلين واحد. وكما وقع متكلمو المسيحيين فى هذا التناقض وقع ايضا المتكلمون من المسلمين و لذلك صوروها بصور مختلفة و مثلوها باشكال توشك ان تكون متباينة فبينما الصوفية يصورون الحياة الاخرى بالسعادة النفسية و النعيم المعنوى ترى غيرهم من المتكلمين يصورها باللذائذ الجسمية و الشهوات الحيوانية والسبب فى ذلك كما قدمنا ان نصوص الشرائع ليست صريحة ولا معينة بل دائرة المعنى فيها واسعة للبحث فيه مجال ولذا لايسع احدا ان يكفر من يعتقد باصل البعث و يفسره بما يطابق عقله . بقى علينا ان نبين رأى ابن رشد فى هذه المسألة فانه هو المقصود من هذا البحث

ان ابن رشد يميل الى مذهب الصوفية و عقلاء الفلاسفة من ان السعادة الأخروية مرجعها الى اللذات النفسية والراحة العقلية . ولقد يجمل بنا ان نقتطف هنا ما كتبه فى التهافت منكرا على الغزالى ماذهب اليه من تكفير الفلاسفة فى انكارهم البعث و حشر الاجساد و مثبتا ان الفلاسفة لم يذهبوا هذا المذهب . قال

ان الفلاسفة لم يوجد واحد منهم انكر حشر الاجساد و القول بحشر الاجساد اقل ما له منتشر فى الشرائع الف سنة و الذين تأدت الينا عنهم الفلسفة دون هذا العدد من السنين و ذلك ان اول من قال بحشر الاجساد هم انبياء بنى اسرائيل الذين اتوا بعد موسى عليه السلام وذلك بين من الزبور ومن الصحف المنسوبة لبنى اسرائيل و ثبت ذلك فى الانجيل و تواتر القول به عن عيسى عليه السلام و هو قول الصابئة وهذه الشريعة اقدم الشرائع بل القوم يظهر من امرهم انهم اشد الناس تعظيما لها و ايمانا بها . السبب فى ذلك انهم يرون انها تحو نحو تدبير الناس الذى به وجود الانسان بما هو انسان و بلوغه سعادته الخاصة به و ذلك انها ضرورية فى وجود الفضائل الخلقية للانسان و الفضائل النظريه و الفضائل العملية وذلك انهم يرون الاحياة للانسان الا بالصنائع العملية

و لا حياة له فى هذه الدار و لا فى الدار الآخرة الا بالفضائل النظرية و انه لا يبلغ الى هذه الدرجة الا بالفضائل الخلقية و ان الفضائل الخلقية لا تكون الا بمعرفة الله تعالى وتعظيمه بالعبادة المشروعة له فى ملة ملة مثل القرابين والصلوات و الادعية و ما يشبه ذلك من الاقاويل التى تقال فى الثناء على الله تعالى و على الملائكة والنبيين ويرون بالجملة ان الشرائع هى الصنائع الضرورية المدنيه التى تؤخذ مباديها من العقل و الشرع لاسيما ماكان منها عاما لجميع الشرائع و ان اختلفت فى ذلك بالاقل و الاكثر و يرون مع هذا انه لاينبغى ان يتعرض بقول مثبت او مبطل فى مباديها العامة مثل هل يجب ان يعبد الله او لا يعبد و كذلك يرون فى سائر مباديه مثل السعادة الاخروية و فى كيفيتها لان الشرائع كلها اتفقت على وجود سعادة اخرى و ان اختلفت فى تصوير ذلك الوجود و تمثيله كما اتفقت على معرفة وجوده و صفاته و افعاله و ان اختلفت فيما تقوله فى ذات المبدأ و افعاله بالاقل و الاكثر و لذا هى متفقة فى الافعال التى توصل الى السعادة التى فى الدار الآخرة و ان اختلفت فى تقدير هذه الافعال فهى بالجملة لما كانت تحو نحو الحكمة بطريق مشترك للجميع كانت واجبة عندهم لان الفلسفة انما تحو نحو تعريف سعادة لبعض الناس العقلاء و هو من شأنه ان يتعلم الحكمة . و الشرائع تقصد تعليم الجمهور عامة و مع هذا فلا نجد شريعة من الشرائع الا و قد نبهت بما يخص الحكماء وعنيت بما يشترك فيه الجمهور و لما كان الصنف من الناس انما يتم وجوده و تحصيل سعادته بمشاركة الصنف العام كان التعليم العام ضروريا فى وجود الصنف الخاص وفى حياته اما فى وقت صباه و منشئه فلا يشك احد فى ذلك و اما عند نقلته الى ما يخص فمن ضرورته لايستهين بما يشاغله و ان يتأول لذلك احسن تأويل و ان يعلم ان المقصود بذلك التعليم هو ما يعم لا ما يخص و انه ان صرح بشك فى المبادى الشرعية التى نشأ عليها او بتأويل انه مناقض للانبياء و صارف عن سبيلهم فانه احق الناس بان ينطلق عليه اسم الكفر و توجب فى الملة التى نشأ عليها عقوبة الكفر ويجب عليه مع ذلك ان يختار افضلها فى زمانه و ان كانت كلها عنده حقا و ان يعتقد ان الافضل ينسخ بما هو افضل منه و لذلك أسلم الحكماء الذين كانوا يعلمون الناس بالاسكندرية لما وصلتهم شريعة الاسلام و تنصر الحكماء الذين كانوا ببلاد الروم لما وصلتهم شريعة عيسى عليه السلام و لا يشك احد انه كان فى بنى اسرائيل حكماء كثيرون و ذلك ظاهر من الكتب التى تلقى عند بنى

اسراءيل الى سليمان عليه السلام و لم تزل الحكمة امرا موجودا فى اهل الوحى و هم الانبياء . و اذا كانت الصنائع البرهانية فى مباديها فى المصادرات و الاصول الموضوعة فبالحرى يجب ان يكون ذلك فى الشرائع المأخوذة من الوحى والعقل وكل شريعة كانت بالوحى فالعقل يخالطها و من سلم انه ممكن ان يكون ههنا شريعة بالعقل فقط فانه يلزم ضرورة أن يكون انقص من الشرائع التى استنبطت بالعقل و الوحى و الجميع متفقون على ان مبادىء العمل يجب ان تؤخذ تقليدا اذ كان لا سبيل الى البرهان على وجوب العمل الا بوجود الفضائل الحاصلة عن الاعمال الخلقية و العملية

فقد تبين من هذا القول ان الحكماء باجمعهم يرون فى الشرائع هذا الرأى اعنى ان يتقلد من الانبياء و الواضعين مبادىء العمل و السنن المشروعة فى ملة ملة و الممدوح عندهم من هذه المبادىء الضرورية هو ما كان منها للجمهور على الاعمال الفاضلة حتى يكون الناشئون عليها اتم فضيلة من الناشئين على غيرها مثل كون الصلاة عندنا فانه لايشك فى انها تنهى عن الفحشاء و المنكر كما قال تعالى و ان الصلاة الموضوعة فى هذه الشريعة يوجد فيها هذا الفعل اتم منه فى سائر الشرائع وذلك بما شرط فى عددها و اوقاتها و اذكارها و سائر ماشرط فيها من الطهارة و ترك الافعال و الاقوال المفسدة لها و كذلك القول فيما قيل فى المعاد فيما هو احث على الاعمال الفاضلة مما قيل فى غيرها و لذلك كان تمثيل المعادلهم بالامور الجسمية افضل من تمثيله بالامور الروحية كما قال تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار و قال النبى صلى الله عليه وسلم فيها ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و قال ابن عباس رضى الله عنه ليس فى الدنيا من الآخرة الا الاسماء فدل على ان ذلك الوجود نشأة اخرى على من هذا الوجود وطور آخر افضل من هذا الطور وليس ينبغى ان يذكر ذلك من يعتقد اننا ندرك الموجود الواحد ينتقل من طور الى طور من انتقال الصور الجمادية الى ان تصير مدركة ذواتها و هى الصور العقلية والذين شكوا فى هذه الاشياء وتعرضوا لذلك و افصحوا به انما هم الذين يقصدون ابطال الشرائع و ابطال الفضائل و هم الزنادقة الذين يرون الاغاية للانسان الا التمتع باللذات. هذا مما لايشك فيه احد ومن قدر عليه من هؤلاء فلايشك ان اصحاب الشرائع و الحكماء باجمعهم يقتلونه و من لم يقدر عليه فان أتم الاقاويل التى يحتج بها عليه و هى الدلائل التى تضمنها الكتاب العزيز

و لو شئنا ان نأتى على نصوص ما قاله الفيلسوف ابو لوليد فى هذه المسألة لاستغرق ذلك صحفاعدة و لذلك قد اقتصرنا على ما نقلناه سابقا لان كل الكتب تنطق بلسان واحد هى وجوب الاعتقاد بالمعاد ثم نترك بعد ذلك الحرية للانسان فيما يعتقد

حافظ وهبه

اللغة والأدب

الادب فى القرن التاسع عشر

عبدالله افندى ابو السعود

نابغة من نوابغ عصره نشأ بناحية دهشور و حفظ القرآن ثم انتقل الى مدرسة البدرشين وكان ابوه ناظرها ثم انتخبه رفاعه بك فيمن انتخب لمدرسة الالسن فالتحق بها وسنه اذ ذاك اربع عشرة سنه فبرع على امثاله خصوصا فى اللغة العربية ثم درس العربيه بدلا عن استاذه الشيخ حسين العمرى و درس لاخوانه « كتاب مغنى اللبيب » ثم عهد اليه تدريس الفرنسيه و تصحيح تراجم الكتب الرياضية بالمهندسخانه . و كان متضلعا فى الفقه اذ حضر ملتقى الابحر بمدرسة الالسن على الشيخ خليل الرشيدى المفتى و مع قيامه بوظيفة التدريس كان مواظبا على الحضور بالازهر فقرأ به عدة كتب نفيسه منها الدر المختار . وتنقل فى عدة وظائف اخرى منها تدريس الجغرافيه و التاريخ بمدرسة دارالعلوم و رئاسة قلم الترجمه الى ان عين فى اواخر ايامه عضوا فى مجلس الاستئناف و له عدة مؤلفات منها : « تاريخ مصر » و جانب من « التاريخ العام » و قد ترجم « نظم اللآلئ فى السلوك فيمن تولى فرنسا ومصر من الملوك » و «قانون المرافعات المدنيه و التجاريه » و كتاب « تاريخ مصر القديم » و كتاب « الانتيكخانة الخديويه » و « تاريخ محمد على » و كتاب فى « علم الجغرافيه » و اخر فى « الكيمياء الزراعيه » وطرفا من رواية « جيلبلاس »

و قد اشتغل بالشعر ايضا و له بعض قصائد لم اعثر الا على ثلاثة ابيات من ضمن قصيدة طويلة له :

و من قال ان الدولة اليوم وحدها

تصفق منها الكف كى يصلح الامر

و ما ذا عسى يجدى اجتهاد لدولة
و ليس من الآحاد شد لها ازر
اما نقتضى ان نبذل الجهد كى يرى
لها الشطر فى اصلاحنا ولنا شطر

و هو الذى انشأ صحيفة وادى النيل سنه ١٢٨٤ ثم انشأ نجله محمد انسى بك جريدة « روضة الاخبار » فكان هو محررها

محمد افندى عبد الرازق

كان من اقران ابى السعود افندى تعلم فى مدرسة الالسن و برع فى العربية و الفرنسيه و كان من اعظم العاملين فى قلم الترجمة يضارع فى قوته ابا السعود و لم ار احدا من اقرانه او اساتذته بلغ مبلغه فى النثر المتين البليغ الذى لايفترق عن كتابة العصر الحاضر و له قاموس فى المواليد الثلاثة الفرنسيه والعربيه محفوظ بالكتبخانه و لم يطبع و ينقصه بعض حروف و مما ترجمه « خلاصة تاريخ العرب لسيديو » و قدمات قبل اتمام ترجمته فكلف على باشا مبارك من اتم الجزء الصغير الذى كان باقيا منه و طبعه

و انى لمورد طرفا من كتابته فى هذه الترجمة ليقف القراء على متانة اسلوبه العربى و ذوقه السليم فى التعبير . قال فى اول المبحث التاسع :

« كان بين الاسماعيلية و القحطانية تنافس المعاصرة المؤدى الى اختلاف الكلمة ثم مالوا الى الوحدة السياسيه لتوفر اسبابها من اغارة الحبشة عليهم بمكة و اتحادهم فى الاخلاق و العوائد فان سائرهم تمسك باوهام العبادة الوثنيه و العوائد الجاهليه كمعاملة النساء معاملة الرقيق و وأد البنات مع التكبر الوحشى و حب الانتقام و المقاصة و اجازة النهب بعد الانتصار و اقامة القوة مقام الحق و قرى الضيف مع حرمان النفس تشوقا الى السمعة بين القبائل و حب شرف النفس الموجب للبسالة و الحماسة و المحاماة عن المظلوم و تقديم الوفاء بالوعد على الحياة و تزيد على ذلك شهواتهم النفسية فانها اكبر تلك الخصال غلبة و ظهورا و من ذلك يعلم انه متى اتجهت عقولهم الهائجة المخاطرة الى شئ و ثبوا اليه وثبة واحدة و ذلك يوجب الوحدة فى اللغة المتيسر بعضها بواسطة اختلاف القبائل »

محمد بك عثمان جلال

كان مولعا بالآداب العربية والافرنجيه و قد تقلب فى عدة وظائف الى

ان عين قاضيا بمحكمة مصر المختلطة . و ترجم فى اوائل ايامه حينما كان بنظارة الحربية بعض كتب عسكريه كما اشار بذلك قدرى باشا فى تقريظه كتاب الامانى و المنة فى حديث قبول و وردجنه ، ثم عكف على تعريب طائفة من مؤلفات بعض من مشاهير الشعراء و الكتاب الفرنسيين . فمما ترجمه من (كورنى) رواية (اوراس) لم تطبع وهى محفوظه عند ورثته . و مما عربه عن (راسين) اتالى ، و لم تطبع ايضا و « استير » و « ايفيجينى » و « اسكندر الاكبر » وهذه الروايات الثلاثه فى مجموعة واحدة باسم « الروايات المفيدة فى علم التراجيده » و مما ترجمه عن (موليير) « تارتوف » « والنساء العالمات » و « مدرسة الازدواج » و « مدرسة النساء » وهى مطبوعه ومجموعة سماها « الاربع روايات فى فن التياترات »

و عرب « بولس وفرجينى » للكاتب الفرنسى الشهير « بيرناردان دوسان بيير » و اغلب حكايات (لافونتين) و سماها « العيون اليواقظ فى الامثال و المواعظ »

و قد امتاز فى الازجال هو و عبدالله افندى نديم و الشيخ محمد النجار وكانت له ملكة وافية فيها تزينها فكاهات لطيفة و نكات ظريفة و بها كتب معظم معرباته و له عدة ازجال متفرقه منها رواية المخدمين و هى من وضعه و نبذة فى تاريخ ولاة مصر ابتداء من عهد محمد على باشا و زجل فى الازهار و آخر فى المأكولات

وقبل ان نفحص هذه التراجم نورد كلمة نعرف بها مزايا (راسين) و (موليير) و لو انها لاتخفى على معظم القراء

كان (راسين) من فحول الشعراء المجيدين و تختلف رواياته المحزنة (تراجيدى) عن روايات (كورنى) برقتها و قربها من الحقيقة مع سهولة مبنى الموضوع وبعده عن تعقد الحوادث و يزين شعره فن دقيق و ذوق سليم و روح مؤثرة تأخذ بمجامع القلوب . و غيرخاف ان الشعر المقيد عندالغربيين بمثابة الشعر الجاهلى عندنا .

واظن ان المعرب فاته جميع هذه المزايا فلذلك عمد الى تعريبه باللغة العامية مع تصرف عظيم و جعله زجلا مضحكا ملوءه النكات او الفكاهات المصرية المتداولة بين العامة

اصبحت الترجمه لاتنفع مريد التمثيل و لا محب الادب و لا كلفا بالحوادث و الوقائع و لا مغرما بالازجال لانه خلط بين الجد و الهزل و الحزن و المزاح

و صارت عاطلة من مزاياها الادبية و النظمية و التمثيليه

و من نكاته فى روايه « ايقيجى »

لو كنت يوم دافعت عنهـا بهمتاك
ما كنتش اذليت و صغرت عمتك
لا اب فيك رحمة و لاجوز تتشكر
الا انت واحد بربرى مخك عكر

و يعد (موليير) اول من رقى التمثيل المضحك فى فرنسا و لم يباره فى هذا الفن مبار لغاية عصرنا هذا. و لم تزل رواياته خالدة على جميع المسارح الاجنبيه. كان يمثل الطباع و السجايا و العادات تمثيلا لا يفترق عن الحقيقة بشكل وحيد فى بابه تزين انشاده بلاغة نادرة و قوة ساحرة و ذوق رفيع . و قد اسعد اللغة العالية و المتداولة الاستعمال باشعار وكلمات و اصلاحات ذهبت مذهب الامثال

فان بحثنا عن شئ واحد من هذه المحاسن طى ترجمته لم نجده و حاشا ان نعتبر ان هذه الازجال تمثل لنا آيات (موليير) الباهرة بل هو يبرا منها اذ فى نسبتها اليه حطة و ازدراء

كلنا نعلم ان رواية (تارتوف) هى صفوة ما الفه (موليير) بل احسن رواية مضحكة فى جميع التمثيل الفرنسى . فمسخها المترجم و قلب موضوعها و سماها « الشيخ متلوف » و نقل الحادثه الى مصر بين هذا الفقيه و كعب الخير و ام النيل و بهانه و غيرها فان اعتبرناها زجلا من ازجاله يقطع به العامى وقته وجدناها اضعف من ازجاله الاخرى و انى مورد طرفا منها لتقارنه بغيره

الفصل الاول

ام النيل

يا الله بنا نروح قوام يا كعب خير
دولاجماعه الكل ما فيهمش خير

كعب الخير

هو جرى حاجـه هنا ياستنـا
حتى نروح برا و نترك بيتنـا

ام النيل

كتر الكلام مالوش نفع يا لله بنا
راح اقعدا تلفت هنـاك و الاهنا

كعب الخير

بس الخروج داليه وانا شايفه الجميع
من تحت امرك كلهم سميع ومطيع
والكل تحت اليـد فللى تأمربه
تقـدمى اللى تقـديمه و تأخيره

و قال فى رواية المخـدمين

و تغسل الحوض الكبير و تبخره
وفى الكنيف الابريق دايما تحضره
و عنـدنا القربه و عنـدنا الحمير
تملا لنـا القربه من البحر الكبير
ونروح للجامع نجيب ستين رغيف
لكن تنقيهم من العيش النضيف
و كل يوم نبيع لنا العيش القديم
ويكون معك فى السوق عبد الشيخ سليم
وكل شى تسلمه لى بالعـدد
اوعى يغشك حد فى السـوق ياولد

ترى الفرق شاسعا بين الاثنين و ان السهولة و الانسجام يطاوعانه فى الاخيرة

ليت شعرى ما الذى حدابه الى تعريب هذه الروايات التمثيليه؟ ايريد ان يقدم بها التمثيل فى عصره ام ينفح القراء بمعجزات (راسين و موليير) ام يهدى اليهم من الحوادث والوقائع ما يتفكهون به فى اوقات فراغهم؟ وايم الحق انها لاتصلح لهذا و لا لذاك حتى ان اعتبرناها الاعتبار الاخير سئم منها القارئ و فضل عليها (روكامبول) و (اللص الشريف) و امثالهما من الروايات المشحونة بالحوادث الغريبة والوقائع المدهشة

تطاول قلم المعرب ايضا الى الروايات القصصية التى تعد من امهات كتب النثر الفرنسى فترجم رواية (بول و فيرجيني) و سماها « الامانى و المنة و حديث (بول و فيرجيني) وكلنا نعلم ان هذه الرواية تعد فى نوعها درة يتيمة لم يوفق احد قبل مؤلفها ولا بعده ان يأتى بمثالها او ينسج على منوالها فكانه دخل فى قلب هذين الطفلين البائسين و قرأ ماخط فيهما من آيات الهوى العذرى الطاهر و اخرجه للناس فى قالب رقيق ساحر كانه أنغام شجيه تستهوى

٨ افئدة رقة و عذوبة

عمد المترجم فى تعريبه الى السجع لسمج فسخ هذه الآيات البينات و غير محاسنها وكساهاثو بامن الركاكة تنفر منه القلوب قبل الاسماع و انى لمورد منها بعض جمل ليحكم القراء عليها قال فى اول الكتاب قال الناقل لهذا الخبر الصحيح ، و القول الفصيح

بينما انا فى سياحتى   على كيفى تعبى و راحتى

و اذا بجزيرة من جزر بحار افريقيه فنزلت فيها على الجهة الشرقية فرايت تحت سفح الجبل من هذا المحل مينا يقال لها مينا الواس ارضا افلحت لبعض الناس و رأيت بها اثر عشتين صغيرتين فى وسط حوض كائنتين

وقبل التكلم على « العيون اليواقظ » نذكر كلمة على (لافونتين) لنعرف درجته فى الفضل . اشتهر هذا الشاعر الفرنسى بقصصه و حكاياته التى ذاع صيتها فى الآفاق وترجمت الى جميع اللغات و لم ير فى جميع الامم شاعر تفنن مثله فى اسلوبه الذى جمع بين شائق القريض و رائع التعرب و سلاسة التركيب و رائق الوصف و لذيذ الفكاهات و طلى الملح .

كان قادرا على تصوير النبات و الجماد و الحيوان قدرته على تمثيل اشخاصه تمثيلا لايشوبه التقصير و لا المغالاة حتى اصبحت حكاياته نافعة لتهذيب الفتيان قبل الصبيان و مهما كنت قادرا لااستطيع ان اوفى هذا النابغة حقه فى المجد الاثيل و الفضل الجزيل وما على القارئ الا ان يرجع الى الاصل الفرنسى و يمعن فيه ليجتلى خفى معانيه و دقائق مبانيه

سلك المعرب سبيل التصرف المخل وكان مسوقا اليه لركونه الى النظم والتعريب اذ لا يتيسر لاشعر الشعراء ان ينقل الى الشعر شيئا دون تصرف حتى المترجمين من الافرنج لا يترجمون النظم الانثرا و لو كانت الترجمة و الاصل من لغتين مصدرها لاتينى ليحافظوا على روح الشاعر و اسلوبه و معانيه الدقيقة حتى يكون الاصل و الترجمة صنوين او توأمين

تعرض المعرب فى كتابته الى الازجال والادوار و الاراجيز وشيئا قليلا يعد على اصابع اليد من بحور العروض الاخرى . و غير خاف ان الرجز ممقوت و لا يعتدبه الشعراء لانه من خصائص الفقهاء اذ ينظمون به متونهم و عبر عنه بعض الفضلاء بحمار الشعراء

فبعمله هذا ذهب بطلاوة هذا النظم البديع و المحاسن الرائعة و ضاعت

الفكرة المنشوده و اصبحت الترجمة لا تليق ان تعزى لشكلها هذا الى عطارد الزمان فى القصص والحكايات

و من انعم النظر فى قريضه بهذا الكتاب و جده لايفترق تقريبا عن نثره الذى اوردنا طرفا منه و ما على القارئ الا ان يراجعه ليستبين صدق ماقلناه

الشعر والشعراء

معرك الحياة

هو الدهر لم يترك مشن غواره   على سابق من ليله او نهاره
يثير غبار الحادثات بكره ....   و هل نحن الا من مثار غباره
وكم عبر مطوية فى صروفه   فهل من مجيل فيه طرف اعتباره
خليلى ان الارض غربال قدرة   تجمعت الاحياء بين اطاره
تميد به كف الزمان تحركا   لمحو ضعيف اولا ثبات فاره
فيبقى به الاعلى قرين ارتقائه   كما يسقط الادنى رهين اندثاره
فلا عيش فى الدنيا لمن لم يكن بها   قديرا على رفع الاذى والمكاره

..

لعمرك ماهذى الحياة بملبس   لمن حيك من عجز نسيج شعاره
و لكن لمن امسى بايد و قوة   يجر على الايام فضل ازاره
ارى الشمس يخفى ضوءها كل شارق   وان كان ينبو الطرف عن مستناره
و ما ذاك الا انها فى تلهب   يموج بنور ساطع و قد ناره

فلم يستطع نجم طلوعا تجاهها ... اذا لم يعذ بالليل غب اعتكاره
كذلك ضعيف القوم ان كان جاره ... قويا يكن شلوا اكيلا لجاره
و ما الليث لولا بأسه فى عرينه ... باشرف من ضب الفلا فى وجاره
و من غاور الايام غير مدجج ... فلا يطمعن فى مغنم من مغاره
ومن لم يهن صرف الزمان برحلة ... تهنه صروف الدهر فى عقر داره
و ما شرف الدر الثمين فريده ... اذا هو لم يبرح بطون محاره

* * *

ارى كل ذى فقر لدى كل ذى غنى ... اجيرا له مستخدما فى عقاره
و لم يعطه الا اليسير و انما .. ... على كده قامت صروح يساره
و يلبس من تذليله الغز ضافيا ... و ينظره شزرا بعين احتقاره
يشد الغنى ازر الفتى فى حياته ... و ما الفقر الا مكسر فى فقاره
وليس الغنى الا غنى العلم انه ... لنور الفتى يجلو ظلام افتقاره
ولا تحسبن العلم فى الناس منجيا ... اذا نكبت اخلاقهم عند مناره
وما العلم الا النور يجلو دجى العمى ... ولكن تزوغ العين عند انكساره
فما فاسد الاخلاق بالعلم مفلحا ... و ان كان بحرا زاخرا من بحاره

* * *

سل الفلك الدوار عن حركاته ... فهل هو فيها دائر باختياره
وهل هو فى هذا الفضاء مسافر ... له غاية مقصودة من سفاره
و هبنا جهلنا بدأه من تقادم ... فهل يدرك العقل انتهاء مداره
متى ينجلى ليل الشكوك عن النهى ... وترفع كف العلم مرخى ستاره
الاورى فى زند الزمان فنهتدى ... بسقط ضئيل من سقيط شراره

ارى الدهر ليلا كله غير مبصر ... وان كان فى رأد الضحى من نهاره
و اهليه ساروا خابطين ظلامه ... و ان ركبوا فى السير متن بخاره
لعمرك ان الدهر يجرى لغاية ... فأن شئت ان تحيا سعيدا فجاره
و ها هو ذا يعدو فيبتدر المدى ... و ينهب اعمار الورى فى ابتداره
لقد فاز من بارى جديديه جدة ... وخاب الذى فى جده لم يباره
وليست حياة الناس الا تجددا ... مع الدهر فى ايباسه واخضراره
و ما الناس الا الماء يحييه جريه ... ويرديه مكث دائم فى قراره

* * *

لك الخير هل للشرق يقظة ناهض ... فقد طال نوم القوم بين دياره
الم تر ان الغرب اصلت سيفه ... عليهم وهم لاهون تحت غراره
و بادرهم كالسيل عند انحداره ... وهم فى مهاوى غفلة عن بداره
اما آن للساهين ان يأبهوا له ... فقد اصبحوا فى قبضة من اساره
تراهم جميعا بين حيران و اجم ... وآخر يطرى ماضيا من فخاره

معروف الرصافى

الاتحاد الاسلامى

للكاتب القدير جلال بك نورى

ان افكارى فى موضوع الاتحاد الاسلامى والخلافة والمسألة المصرية معلومة مما كانت جريدة اللواء تنقله وتقتبسه من اقوالى ولكنى اكتب هذه المقالة اليوم لاجمل فيها تلك الافكار واعرضها على اخوانى الترك والمصريين لانى اعتبر ذلك مفيدا فى توثيق عرى الالفة بين الرعايا الشاهانيين عموما

ان الاوربيين لايحبون الامن نشأ وترعرع على فكرة الغرب التى تقدس القومية والوطنية اما الترك والعرب والمصريون والبربر والهنود وبالجملة جميع الامم الاسلامية لااثر للخلافات القومية والجنسية بينهم لان تعاليم الشريعة المحمدية الغراء ليس فيها للقومية اساس ولا اثر بل بمعنى اصح ان جميع مسلمى العالم ملة واحدة . ان المسلمين الذين يقدسون الخليفة ويقرون ببيعته بينما هم يخضعون لحكومات اجنبية اذ عمدوا الى اعتبار انفسهم ملة اوقومية منفصلة وماذلك الالعدم ادراكهم حقيقة روح وتعاليم الشريعة الاسلامية الفيحاء ان لب الاسلام كما قال ارنست رينان قوة مدهشة توحد بين جميع اتباعها بصرف النظر عن اللغة والوطنية والجنسية والطبيعة والمزاج وبناء عليه فلينتشر وليعم العالم مذهب اوربا الاستعمارى مااستطاع ولتفتح وتسخر دول اوربا اسيا وافريقا والاوقيانوسية ماشاءت فان كل ذلك لايفصم عرى المحبة والاخاء الوثيقة التى بين المسلمين . بل كلما ازدادت تلك الدول ظلما وعسفا واثقلت المسلمين ارهاقا وخسفا تيقظ العالم الاسلامى وازداد شعوره. ان بولونيا التى كانت قد مزقتها الخلافات الحزبيه وقهقرت احوالها المشاحنات الفرقية حتى انستهم الوحدة القومية والعاطفة الوطنية مااسترجعت شعورها وفقهت رابطتها الجنسية والملية الايوم ان تقاسمتها دول روسيا والنمسا وبروسيا وهنالك هبت تدافع عن كيانها فاحتلال انجلترا لمصر وفرانسا لتونس والجزائر وقيامها لالتهام مراكش واعلان دولة ايطاليا الممقوتة الحرب على الخليفة بغية اغتصاب طرابلس وبنغازى بقوة السلاح كل هذه الكوارث ايقظت العالم الاسلامى حتى القبائل المراكشية التى ماكانت تعرف غير غزو بعضها ولاتضمر غير النكاية والحاق الاذى بجيرانها فى الازمان الماضية والتى ماكانت تفكر فى شىء غير ذلك اصبحت اليوم راغبة فى الرقى عاملة على توثيق عرى الرابطة القومية والملية .

قد نجد بين النصارى الروم والقبط والفرنسيس والارمن والانجليز . . الخ وهم امم متفرقة وملل مستقلة اما فى الاسلام فلا اثر للجنسية فأن هذه

التقسيمات ليست تقسيمات قومية وجنسية واذا كان الرومى يعتبر الفرنسى اجنبيا فالهندى المسلم لايعتبر البربرى اجنبيا وكما ينظر الباريسى او المارسيلى الى ابن ليون اونانس فكذلك التركى الى القوقازى الى العربى الى الجاوى بمثل هذه المنزلة فاحدهم للآخرين قريب صميم فالاسلام فوق جميع هذه الاعتبارات فهو اخاء عام بين الملل فمهما فشت الدسائس الاجنبية ومهما راجت بيننا اموال ومساعى الدول الغربية فى بلادنا فكن على ثقة بان هذه الرابطة لن تحل اوتفسد لان رابطة الاخوة المتينة التى دعمها الاسلام مارأينا حتى الساعة اى قوة استطاعت ان تقاومها اوتبدلها . ان مقام جلالة الخليفة الاعظم بصفة الخلافة ارفع مائة مرة من مقامه بصفته سلطانا اى ان السلطان محمدا الخامس اولا خليفة ثم بعده ذلك سلطانا والعالم باسره يعترف بهذه القوة ويحترمها ومن الواجب على هذه القوة ان تتجلى فى العصر الحاضر وتتبع نظامات وتنسيقات عملية تلائمها واذا شاءت دول اوربا المحافظة على مصالحها المادية يجب عليها الاتعادى هذه القوة كماتفعل ايطاليا وغيرها بل تتحبب اليها و تصادق هذه القوة وانى اقول بكل جرأة انهن لن يجدن فى المستقبل طريقا غير هذه الخطة. ان الاوربيين يعتقدون ان لا اثر للرأى العام فى الشرق عموما والعالم الاسلامى خاصة ولكنهم يخطئون وربما كانت الاختلافات الحزبية ودواعى الرياسة فى الشرق والعالم الاسلامى ليست عظيمة كما هو الحال فى الجهات الاخرى وربما كانت الافكار العمومية غير ملتئمة فى هذه النقطة ولكن اذا شجر خلاف دينى ودخلت الكرامة الدينية فى موضع الجدل والبحث فهنالك ترى زنوج افريقا (المعتبرة احط القارات فى المدنية) يرفعون عقيراتهم ويعلنون عصيانهم دفاعا وغيرة على دينهم

ان الحكومة العثمانية هى دعامة قوة هذا الاتحاد العام ومن الواجب عليها الاستفادة بصورة مشروعة من هذا المركز اذ برفاهية العالم الاسلامى تكتسب الدولة العثمانية عظمة وبأسا وعلى الخصوص مصر ذلك الجزء العثمانى الذى لاينفصل عن الدولة التعس الحظ الساعى فى تحرير نفسه والتمتع برفاهيته وسعادته المجد فى استرجاع سابق عظمته ومجده نعتبره من اهم العوامل المرقية الرافعة شأن دولتنا. ان مصر وبقية اجزاء الدولة العثمانية اعضاء جسم واحد لاتنفصل فكما ان الطفل اذا مافطم عن ثدى امه يبقى محبا متعلقا بها كذلك هذان العضوان تجمعها هذه الرابطة المتينة

ومع الاسف ان بعض شباننا الذين شعروا بكرامتهم فجأة لايدرون حقيقة مايجرى فى الاوساط الاوربية. ان اوربا تودان تجذبهم ببرقشة مدنيتها وتعميهم عن حقيقة انفسهم مع اننا اهم اركان ودعائم العالم الشرقى ولن يكون كمالنا ورقينا

بالنفور ومقت ماهو شرقى وتقليد كل ماهو اوربى بل ان سعادتنا ونجاحنا فيما ينفع ويرقى العالم الشرقى وامه. واذا اما تركنا عوائدنا وطبائعنا القوميه تمحى من صحيفه الوجود ولكنا اذا ماتمسكنا بعاداتنا وتشددنا فى العمل بآدابنا والرجوع الى تعاليم مدنيتنا الدينيه فهنالك ترجع عظمتنا وندخل فى مصاف الدول الراقيه الكبرى وانى اظن ان اليابان والولايات المتحده الامريكيه اللتين وحدتا جامعتيهما القوميه ودخلتا فى عداد الدول العظمى بخضوعهما لنفوذ الغرب ولا باستكانة المذبوح لكل ماهو اوربى بل بالعكس انهما مابلغتا غايتهما ولانالتا درجتيها الا بالابتعاد عن الغرب والنفور من تقليده والخضوع لنفوذه

ان العالم الاسلامى ليس اليوم فى درجة تمكنه من الحاق الاذى والضرر بدول الغرب وليس من الانصاف اعتبار حالة اوروبا اليوم المرتبكة المتذبذبة كانها حالة طبيعية والمتوكل من عرف كيف ينتظر عاقبة الاحوال الحاضرة. ان اهم واجب يحتم على العالم الاسلامى ان يرفع درجته العلميه وينافس الغرب فى مدنيته رغما عن ممانعة اوروبا ومعاكستها لنيلنا هذه الغايه فاذا ماجد العالم الاسلامى اربعين اوخمسين سنه خرج النابغين وكبار المفكرين واذا ماظهرت هذه النفوس فهنالك ترى اوروبا التى تعاملنا اليوم بكل عنف وخشونة قد ركعت خاضعة امام هذه القوة . ان الامة التى تعرف شرفها ووقار مقامها والتى تقنع بذكاء ودهاء ابنائها وتعتمد على اخلاقها القوميه يستحيل ان يدرس مجدها فى اى وقت وامام اى قوة مهما تراكمت المصايب واشتدت فداحة الظلم والجور عليها فلابد ان يأتى اليوم الذى تعلن فيه ظفرها وانتصارها على غاصبها ويستحيل ان تدرس هذه الاحساسات ويقتل هذا الشعور . ان المدافع والاسلحة الماديه لاتقضى قط على امل الامة اذ ان تأثير المدفع والبنادق على الماديات المجردة فقط وليس لها اى تأثير على الاحساس والوجدان . انى منذ اشرقت شمس الحريه العثمانيه اجاهدوا خدم هذه الفكرة واروجها فى العالم الاسلامى فعسى ان تكلل المساعى بالنجاح والفلاح

العالم الاسلامى

ان اوربا تضمن تفوقها على العالم الاسلامى بشيئين !!

(١) سعيها الحثيث فى منع انتشار العلوم والمعارف والصنائع والمدنية الغربية فى مستعمراتها .

(٢) تقهقر العالم الاسلامى فى العلوم والمعارف

هذه الخطة تسير عليها جميع الدول الغربية بكل جد واهتمام و بناء عليه لو اراد المسلمون استرداد حقوقهم فاول مايجب عليهم حصر وقتهم وهمتهم فى هذه

المسألة و ذلك فرض عين على كل فرد منهم : لنكن على ثقة بان انجع طريق لخلاص و نجاة العالم الاسلامى من اسره الخالى المعارف والعلوم فبها يرتفع قدره اكثر من الاعتماد على نظريات الموازنات الدولية والانقلابات والاضطرابات والحروب والمؤتمرات الدولية مادامت اوربا تبز العالم بعلومها وتحرمنا ما استطاعت من المعارف وبذا تسنى لها التسلط علينا وارهاقنا والتجبر فينا فمن الواجب علينا ان نفقه سر هذا التفوق جيدا وندرك ان العلم هو الاساس الوحيد فلنتسلح به ما استطعنا لنضمن فوزنا وظفرنا فى معترك الحياة

ان اوربا تذرعت بكل طريقة لمحو المعارف واللغات الاسلامية حتى انها قد توجد طرقا و اصولا لايقبلها العقل ولا تمر بمخيلة الانسان . و الى القارئ نموذج بسيط . ان لكل لغة فى القرى والدساكر توجد لهجات عامية لايمكن حصرها فى كتابة او قراءة ولا تربطها بآداب اللغة اى لحمة فاهالى البادية النائية عن الجهات العامرة الذين حرموا نور المعارف يتكلمون عادة بهذه اللهجات فاذا ما استنار و تعلم الشخص منهم قليلا يهجر هذه اللهجة العامية و يقبل على اللغة الفصحى الادبية بكل ارتياح اذ نفس المدة تستوجب معرفة اللسان الادبى

ان هذه اللهجات العامية توجد فى كل مكان فنسبة اللغة الكردية الفصيحة الى اللغة العامية (زارا) واللسان العثمانى البليغ الى اللهجة العامية (اذرى) والاسبانيولية اليهودية واللهجة اليونانية المستعملة فى الجزر السبع ولهجات الطليان الرديئة كنسبة لهجات (فلون) و (باسق) و (بروفانسال) الى الفرنسية او البربرية الى اللغة العربية

و بعض هذه اللهجات محرفة عن اللغات الفصحى الادبية و بعضها لغات قديمة انمسخت و خرج منها اشكال متناسخة

فالا'ن نرى فرنسا فى شمال افريقيه لكى تبعد المسلمين عن المعارف و تحول دون ارتشافهم سلسبيل العلوم تهجر اللغة العربية وتحاربها بينما نجدها تسعى فى احياء اللغة البربرية وهى لغه كان لها اصل قديم . فقد كانت فى عهد الرومان اللغة العمومية للقبائل البدوية القاطنة بشمال افريقيا ولكنها بقيت فى العهد الاخير خاصة بالجهلة و اهل البادية . و قد اصبحت بعض الجهات اليوم تجهل العربية تماما و اندرست منها ادبياتها ولم يبق لها طلاوتها و جمالها فى نظر السكان حتى كانها ليست بلغة حية وحتى ان المعارف بها ليستحى من التكلم بها امام احد

المتمدينين مع ان كل بربرى يوداثبات تمدينه ورقيه يجب ان يعود لسانه ماستطاع التكلم بالعربية الفصحى . وخلاصة الكلام ان البربرى اذاما قام بالمدن والمراكز والعواصم واراد ان يظهر كانسان كامل فاضل يتشبه بمجرد تشبه بالعربى فى اللغة واللهجة كما ان الفلاح الاناضولى القح اذا اتى من قسطمونى او قونية الى الاستانة و داوم على مدارسها قليلا و خالط العالم يهجر لهجته العامية الجافة ويقترب من اللغة الفصحى ما امكن ففرنسا الآن بقتلها اللغة العربية تعمل على احياء هذه اللهجة الغريبة العجيبة. وبما انها تعلم ان اللهجة البربرية لايمكن تعلمها فهى تبطل اللغة العربية العذبة البيان و تحل مكانها كلاما وحشيا و بهذه الواسطة تلقى النفرة والتفرقة بين العرب . وترى بعض المنفقين ذوى لاقوال الخياليه يدعون بانهم سيخرجون سكان افريقيا من العرب و يجردونهم من الشعور العربى القومى ولهم ادلة فعلية تبرر وعودهم

وها هى فرنسا ايضا تنفق الاموال الوفيرة والمرتبات الضخة لبعض الزنادقة الملحدين بافريقا لكى يبعدوا المسلمين عن اصول دينهم . فالجمهورية الفرنسية تعلن مدها يد المعونة لعلماء المسلمين لتثبت فى الورى حسن نيتها وشريف مقاصدها نحو الاسلام بينما هى تدفع باموالها اهل الفساد لزرع بذور النفاق و المفاسد بين الموحدين حتى ان جريدة الطان الشديدة الدفاع عن حقوق مسلمى تونس والجزائر و مراكش ازاء المستعمرين تستصوب خطة فرنسا وتراها محقة و تقول بلاتردد فى عددها ١٨٥٦١ الصادر فى ١٧ ابريل سنه ١٩١٢ انه من الواجب على فرنسا ان تزرع بذور الشقاق وتوجد العداوة بين اهالى مستعمراتها لتضمن بذلك دوام سيادتها وحكمها

ونظرا الى ماجاء فى جريدة الطان يكون عدد سكان الجزائر حسب الاحصاء الاخير ٤٢٢١٢٧٦ من الوطنيين بينهم ١٠٨٤٧٠٢ من البربر ولكن احد مصلحى الجزائر من العلماء المسمى مسيو دوته قام بابحاث دقيقة حكم بعدها بان احصاء الحكومة غير صحيح اذ عدد البربر الحقيقى ١٣٠٥٧٣٠ وسبب هذا الفرق ان كثيرا من الجزائريين يتكلمون العربية والبربرية معا !! ويقول المسيو وايسجربر مكاتب الطان بمدينة فاس ان ثلاثة اخماس سكان مراكش من البربر بحذافيرهم والخمس الباقى هم العرب الحقيقيون !!..

فالذى يجعلنا نضحك هازئين امام تلك المدعيات ان الاسلام عندما طفت

امواجه وعمت انواره العالم وحد بين كثير من القبائل والامم التى اتبعته فالحقها جميعها بدينه الحنيف وادخلها فى العائلة العربية الكبيرة جميعها اليوم مابين عربية او مستعربة . اما اذا لم نفكر بناء على هذا الاساس ورجعنا الى تعيين منشأ عناصر كل امة نجد ان الامة الانجليزية مثلا قد نقصت كثيرا . و اذا اعتبرنا ان القرويين بسبب عدم تكلمهم اللغة الادبية الفصحى لايكونون مع سكان المدن امة واحدة فما اعظم سخافة رأينا هذا و الا فاذا نظرنا الى الترك والمجر من هذه الوجهة نجد هاتين الامتين قد نقصتا جدا ونشأ مكانهما عشرات بل مئات من الامم الصغيرة الجديدة . انى اظن انى بكتابة هذه الاسطر قد شرحت خطة وسياسة اوربا المرسومة للنكاية بنا وايدت دعواى بمثال البربر فاول واجب على العالم الاسلامى ازاء ذلك ان يصرف قصارى جهده فى اقتباس المعارف ونشر العلوم وان يدافع عن اللغة العربية لسان الدين الرسمى اكثر من كل شئ ولكن هذا اللسان لجميع الموحدين حبلا متينا فى سبيل توحيد جامعتهم

ان الاوربى نراه باوربا كالحمل الوديع ولكنه باسيا و افريقا والاوقيانوسية سفاح وحشى . يرى الاوربى انه لايصح لمن لم يكن اوربيا ان يتمتع معه بحق المساواة قط . انا لن نقول كلمة من عندنا لنثبت بها صحة هذه القوانين التى ذكرناها بل ولن نبرهن على صحة الدعوى بمقالات ارباب الاقلام فى الغرب والاستشهاد باقوال المفرطين منهم بل سنلخص مقالا كتب فى جريدة الطان التى لم تعرف بالافراط اوالتفريط والتى اخص آمالها خدمة الحكومة الفرنسية والمدافعة عن ارباب الاموال

قالت هذه الجريدة الناصرة لفرنسا المدافعة عن ارباب الاموال مايأتى : لقد بقينا فى الجزائر من سنة ١٨٣٠ الى سنه ١٨٧١ نعتبر جميع ابناء العرب اعداءنا واتخذنا كل طريقة وواسطة للتنكيل بهم وقهرهم ولقد كان اهل المستعمرات اشد انصارنا فى التغلب على العرب وخضد شوكتهم والآن نعد العرب من الاعداء وهم بالنسبة لبقية اهل المستعمرات الاخرى فى موقع المحكوم المقهور .

وهذا الانحدار يتجلى فى صورتين (١) عدم المساواة فى التكاليف (٢) عدم مساواتهم فى الاستفادة من الحكومة .

ان اهالى البلاد الجزائرية مكلفون بدفع عشر محصولاتهم الزراعية والحيوانية الى الحكومة بينما الاوربيون واليهود معفون من دفع هذا العشر !!!

ففى سنه ١٩٠٨ كانت مساحة الاراضى التى زرعها الاهالى ١٥١٩٧٨٥ هكتارا . دفع العرب الى خزينة الحكومة منها ١٧ مليونا عشر محصولاتها بينما مساحة مزارع الاوروبين واليهود كانت ٩٩٤١٤٠ هكتارا لم يدفعوا من محصولها الى خزانة الحكومة سنتيما واحدا . ولقد صار تمتع الاوربين واليهود بهذا الامتياز سببا فى المخادعات والحتل اذ ان بعض العرب تخلصا من دفع عشر محصولهم يختارون القيام ببعض التضحية فيقيدون املاكهم باسماء اليهود والاوروبين

ان مسلمى الجزائر مكلفون بجميع انواع السخرة المختلفة بينما اليهود والنصارى معفون من ذلك . والاهالى عليهم حراسة الغابات و ابادة الجراد ونقل الاموال الاميرية وحفظ الامن وضبط النظام بالمدن مجانا . وخلاصة القول ان الوطنيين مكلفون بدفع عدة ملايين من الضرائب زيادة عن الاجانب اما فى تونس فبسبب بعض الدسائس الحربية (انى احافظ على نفس عبارة الطان) اصبح الاوربيون بلاواسطة معفين من الضرائب الاميرية فهم لايدفعون ضرائب التكليف الشخصى وضريبة التمتع وغير ذلك من انواع الضرائب الشخصية وكذلك لايدفعون سنتيما من محصولات حدائقهم ومزارعهم ولكن يقدمون للحكومة عشر محصول القمح والشعير . وبناء على ذلك نرى بايالة تونس للاوربين من الاراضى الزراعية التى لاتدفع شيئا من الضرائب مقدار ٨٣٤٠٠٠ هكتارا اى ان الاوربين لهم مركز ممتاز بين اهالى تونس وفوق ذلك فمسلمو الجزائر وتونس من وجهة الاستفادة من الحكومة فى دركة احط واسفل من النصارى بكثير وفى الواقع نرى من قواعد الحكومة الاساسية عدم استفادة المسلمين منها اى ان المسلمين عليهم دفع جميع الضرائب التى يصرفها النصارى واليهود فى مصالحهم ومنافعهم والعرب محرومون من كل شئ فجميع البلديات بايدى الاجانب الذين يعلمون كل المشاريع النافعة لانفسهم حتى ان اربعة او خمسة من مستعمرى الفرنسيين ينفقون الاموال والضرائب المجموعة من اهل القضاء البالغين عشرات بل مئات الالوف المسلمين طبق اهوائهم بدون ان يقدموا اقل خدمة نافعة لدافعيها . و فى الجزائر لااثر لاى حق فى جانب الاقليات . ان هذا امر قديرى بعين الغرابة و لكنه الحقيقة الواقعة فرئيس البلديات وجميع معاونيه ينتخبهم الفرنسيون فالمركز الذى يحتوى على ٤٣ فرنسيا يكون بمجلس بلديته ١٦٥١ مسلما كيف يشاءون ويحبون . فحالة هذا المركز البائس تمسة اذ اهله فى ربقة الاسر . ومحاكم الصلح وادارة الضبط

والمدارس ومعاونة الطلبة والبريد والبرق (التلغراف) وصدى البرق (التلفون) والسكك الحديديه العمومية والخصوصية والآبار ومحلات الاسواق كل هذه المصالح يدفع المسلمون الضرائب اللازمة لادارتها بينما الاستعماريون هم الذين يتمتعون بفوائدها فالوطنيون وهم المعطون الاموال ليس لهم اقل حق فيها فالجهة التى ليس بها سكان فرنسيون خالية مجردة من الطرق حتى ان بعض الجوامع الكبرى المعتبرة من انفس الآثار الاسلامية ليس لها من طرق منتظمة تؤدى اليها لانه لايسكن حولها الا المسلمون وحدهم

اخذت جريدة الطان تسأل عن سبب وضع هذه التكاليف عن قوم ورفعها عن آخرين وقالت جوابا على ذلك انها قانعة بانه ليس لذلك من سبب معقول او حكمة الا الظلم والشدة والجور

وخلاصة القول ان المسلمين يجدون ويكدحون واليهود والنصارى يلتهمون ويزدردون كأن العشرين مليونا من الفرنكات التى تؤخذ من المسلمين زيادة عن غيرهم فدية دائمة على اسارى كما اخذت جريدة الطان تثبت و تؤيد ذلك بالامثال العديدة والارقام الكثيره وانى منعا لسأم وضجر القراء المسلمين اضرب صفحا عن ذكر هذه الارقام عددا عددا ولا اهتم فى هذه المقالة بملاحظاتى الخصوصية لانى قد انفعل بسبب بعض الاحساسات المؤلمة فلا استطيع مجانبة الافراط او التفريط فاليكم خلاصة فقرة كتبتها اكثر الصحف الفرنسية اعتدالا مع انها كتبتها بكل تؤدة وروية اكثر من المعتاد لها !!!

ان الانسان ليتردد عند النظر فى الحقائق التى ذكرتها هذه الجريدة ويتساءل هل مرتكبوها هم الفرنسيون الذين قاموا بثورتهم العظيمة سنة ١٧٨٩ واعلنوا حقوق البشر لاجل الحصول على كلمات الحرية والعدالة والاخوة والمساواة المقدسة؟ وهل الفرنسيون الذين مدوايد المعونة وبعثوا بلافايت وروشامبو لانقاذ وشداز ر الساعين فى شمال امريكا لنيل حريتهم هم الفرنسيون العادون فى المستعمرات على حقوق المسلمين الاولية ؟ انى لا اكاد اعرف ولايسعنى الا ان اتردد فى الحكم

طريق الوئام

لاهل الاسلام

الف الاستاذ الفاضل الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي رسالة سماها (الجرح والتعديل) والموضوع الذي دار عليه البحث في هذه الرسالة هو ان العلماء والائمة السابقين الذين خالفوا مذهب اهل السنة في بعض المسائل المجتهد فيها ليسوا فسقة ولا ضالين . قال المؤلف ولا يحسن ان نسميهم مبتدعين ايضا اى اصحاب بدعة وانما ينبغي ان نسميهم مبدعين اى المنسوبين للبدعة ومحصل ما اورده المؤلف في رسالته انه استدل على ماذهب اليه بدليلين دليل نقلي ودليل عقلي. اما الدليل النقلي فهو ان الامام البخاري ومسلم رضي الله عنهما رويا في صحيحيهما احاديث عن بعض اولئك الائمة الذين خالفوا مذهب اهل السنة والجماعة في كثير من الآراء الاجتهادية فلو كان يصح اعتبارهم فسقة ضالين لما استجاز الامامان لانفسهما الرواية عنهما فكأن الامامين يقولان ان مخالفينا في الرأى ليسوا فسقة ولا ضالين

واما الدليل العقلي فهو ان ائمة المعتزلة والقدرية مثلا لم يخالفوا اهل السنة والجماعة بقصد الافساد في الدين والخروج عن هدى سيد المرسلين وانما هم خالفوهم لدليل ظهر لهم وفهم رسخ في نفوسهم بحيث اصبحوا يعتقدون ان مخالفهم في رايهم هو المخطىء في رأيه المتنكب سواء السبيل في فهمه. ولو كان هؤلاء القوم يخالفون اهل السنة بسوء نية وقصد فتنة لما كانوا تمسكوا باحكام الدين اشد تمسك ووقفوا على حدود الشريعة كل وقوف ناهيك ان المعتزلة يكفرون مرتكب الكبيرة فشارب الخمر عندهم كافر وشاهد الزور كافر وهكذا ومن يتشدد الى هذا الحد في التمسك بحبال الشريعة ينبغي ان ينصف ولا يوصم بالابتداع ولا الفسق وحسبك ان عمر بن عبيد المعتزلي هو الذي قال فيه المنصور

(كلكم طالب صيد

غير عمر بن عبيد)

فهل يصح ان يوصف رجل مثل هذا خاف الله واتقى معصيته بالفسق والابتداع وانما المبتدع الفاسق هو الذي قامت القرائن ودلت الاحوال على انه يريد في مخالفته انتهاك حرمات وتقمم شهوات . هذا ملخص ماجاء في هذه الرسالة

الفريدة . ولعمري انما قاله هذا الفاضل هو الحق والا فان المخالف في الرأى عن دليل واجتهاد وهو يعتقد انه مصيب في رأيه واقف عند حد الشريعة في امر يعذره الشرع كما يعذر ذلك الذي لايعرف ان نوعاً من الاشربة مثلا محرماً فبقى يتناوله طول حياته فان هذا لايصح ان يسمى فاسقاً او مرتكباً كبيرة في نظر الشريعة المطهرة لانه في عمله لم يقصد مخالفة ربه ولا انتهاك حرمة دينه . هذا ولقد كنت سمعت من المرحوم السيد جمال الدين الافغاني كلمة في هذا الموضوع يحسن ذكرها هنا . قال ان المناظرات الجدلية في المسائل الغامضة التي وقعت بين علماء الاسلام وائمتنا الاولين كان يقصد بها في الغالب اظهار المقدرة في الاستنباط والبراعة في الاستدلال والمهارة في ابطال حجة الخصم بحجة اقوى منها فكان العالم اللوذعي والفطن الالمعي يدقق نظره في حجة خصمه ودليله ثم يأتي له من دقيق النظر وقوى الحجة ما يبطل حجته ويسد عليه طريق استدلاله اظهاراً للمقدرة والتفوق في الفهم . فكان المناظر يقول في بعض الاحايين لمناظره ان قولك هذا يلزم منه القول بكذا وهو كفر في اعتبار الشرع فيرد عليه خصمه ويستنبط من قوله ما يستدعي كفره ايضاً مع ان كلا منهما في الحقيقة ليس بكافر ولا يعتقد ان خصمه كافر وانما الحجج الجدلية كان بعضها يكفر بعضا. ومن أسخف رأيا ممن يكفر اخاه المسلم الذي يصلي صلاته ويتوجه الى القبلة توجهه ويؤمن بالقرآن وبمحمد ايمانه يكفر بشيء يلزم من قوله لا بقوله الصريح نفسه فيجب على كل مسلم ان يتدبر ماروبناه عن السيد جمال الدين ويقرأ كتاب (الجرح والتعديل) الذي الفه الاستاذ القاسمي فان في ذلك فائدة عظمى لنا معشر المسلمين تؤدي الى تأليف قلوبنا وجمع ما تشتت من اهوائنا ولا يقتصر نفع ذلك على الجامعة الدينية فقط بل هو مفيد لنا في قوة السياسة وثبات الدولة ايضا فان من تدبرما مر اصبح ينظر الى اخوانه المخالفين له في مختلف الاقطار الاسلامية بعين الالفة والحب والوئام فتستحكم جامعتنا وتشتد صولتنا وتعلو كلمتنا فما احوجنا اليوم نحن المسلمين السنيين ان نتحد مع اخواننا الشيعيين في ايران والزيديين في اليمن والاباضيين في اطراف جزيرة العرب وفي المغرب (ولا ننس ابطال الاباضية المجاهدين في طرابلس الغرب) والوهابيين في جزيرة العرب والهند وغيرهم فاننا كلنا نؤمن باله واحد ونبي واحد وقرآن واحد وقبلة واحدة فاذا اتسقت لنا كل هذه

واتحدت لانبالى بعدها ان تختلف آراء وتباين اوهام وتتصادم حجج . فان العبرة للقصد والغرض والنية. وليست العبرة للازم ولازم لازم فى المناظرات الجدلية

(البرهان)

شذور علمية

الكوليرا

الكوليرا و تسمى ايضا بالهيضة والوباء والهواء الاصفر والريح الاحمر والشوطه (فى عرف العامة) هى مرض عفن فتاك يمتاز بالاسهال والقئ الشديدين وبما ان هذا المرض نسمع باسمه عند موسم كل حج تبعا لالاعيب ساسة اوربا المتعصبين العاملين على ابطال فريضة الحج بكل الطرق الممكنة خوفا من اتحاد كل المسلمين باجتماعهم فى صعيد واحد وبما ان هذا المرض قد عاود دار الخلافة مرتين فى السنتين الاخيرتين وانتشر بين الجنود العثمانية عقب مناورة ادرنه و ابان الحرب البلقانيه خصوصا عندما وصلت المنطقة الواقعة بين لوله بورغاز وجورلى وبما ان برد الشتاء القارس قد اوقف فتكها ، مؤقتا اردت ان اسطر على صفحات الهداية الغراء بحثا علميا يبين الحقائق للعالم ويمكن اخواننا الموحدين من وقاية انفسهم واهليهم من هجمات هذا المرض القتال عندما يشتد هول المرض (لا قدر الله) بحرارة الجو عقب انتهاء الشتاء فاقول وبالله التوفيق

الكوليرا الاسيويه هى مرض معد فتاك حارنتن يمتاز باسهال شديد و بضعف فى القوى مع آلام عضلية شديدة تبلغ الوفيات فيه نيفا وستين فى المائه واكثر وفياته فى الاطفال والشيوخ الفانين و سبب هذا المرض وصول جراثيم مرضية (باسيل الضمة) الى امعاء الانسان والحيوان

تاريخه — اختلف المحققون فى منشأ هذا الوباء وتاريخه فمن الناس من ادعى ان منشأه الدنيا الجديدة وان الفينقيين وجماعة العرب الذين اكتشفوا امريكا قبل الاسلام ذاهبين عن طريق اسيا و بوغاز بهرنغ جلبوا هذا الداء الى اسيا مع البقية التى رجعت منهم وان وجود هذا الداء وفتكه الذريع كان السبب فى عدم تجاسر احد على الذهاب الى امريكا

فتركت وحدها حتى تنوسيت تماما وجاء كولومبس فاعاد اكتشافها والقائلون بهذا الرأى قلائل جدا وليس هنالك ما يؤيد رأيهم الا مشابهة بعض الآثار التى وجدت باواسط و جنوب امريكا للآثار الفينقيه والمصرية والعربيه الى درجة معينة ولو كان لهذا الرأى صحة فما هى الواسطه التى قطعت دابر جراثيم الوباء حتى لم تلق جماعة كولومبس له اثرا مع اننا شاهدنا منذ بضع سنوات اسبانيا تتفشى فيها الكوليرا بين العملة الذين كانوا يحفرون مقبرة قديمة قرب الاسكوريال دفن بها بعض المصابين بالكوليرا قبل نيف ونصف قرن من الزمن ومن الناس من قال ان هذا المرض فتك قبل عدة آلاف من السنين بسكان ليبيا ولكن ليس لدينا من ادلة ماينفى او يثبت هذا الرأى الضعيف الذى اراد اصحابه ان يثبتوا به ان منشأ هذا الوباء افريقية اما جميع المحققين فقد اقروا على ان هذا المرض اسيوى بحت ولذلك ينعتونه بالكوليرا الاسيويه بيد ان هنالك خلافا بشأن تاريخه فكتب الهندوس الدينية السنسكريتية الموجودة من قبل الميلاد بعدة قرون قد وصفت اعراض مرض دعاه بعض اطبائهم فيشوچيقا (اسهال. قئ) او نيرتيربيا (مغص معوى) او الموت العاجل وهى لاتفترق عن اعراض الكوليرا الاسيويه خصوصا اذا لاحظنا ان المرض المذكور قد افنى زهاء الستين الف نسمة من سكان الصين و شرق اسيا فى سنتين وهذا يبين ان هذا الداء قديم جدا اما جماعة اطباء الغرب وعلى رأسهم الاستاذ كوخ فيرون ان هذا المرض قد لايفتك الا داخل دائرة ضيقة ولكنه لم تشتد فتكاته ولا قوى على الغارة وتهديد الممالك الاجنبية الا منذ عام ١٨١٧ فقط و اهم غاراته على العالم خمس الاولى سنه ١٨٢٦ وهى بقايا انتشار الوباء من جنوب بنغال سنة ١٨١٧ واكتساحه عموم الهند ومن ثم انتقل فى سنة ١٨٢٦ الى شواطئ افريقية الشرقية وعموم اوربا وامريكا ومدة هذه الغارة تنتهى فى شتاء سنه ١٨٣٨ و الثانية فى سنة ١٨٤١ وقد اكتسحت جميع ممالك العالم تقريبا و استمرت فى عنفوانها حتى اواخر سنة ١٨٦٠ والثالثة بدأت فى سنه ١٨٦٣ وقد عمت اسيا وروسيا والولايات المتحدة الامريكية و انتهت فى سنه ١٨٧٥ والرابعة بدأت فى سنه ١٨٨٣ وقد عمت اغلب ممالك اسيا و اوربا وامريكا وبعض جهات شمال افريقا والخامسه بدأت فى اسبانيا سنه ١٨٨٥ و منها سرت الى جنوب امريكا وما زالت حتى اواخر سنه ١٨٨٦ وكمنت شتاء السنة المذكورة ثم عاودت اسبانيا وجنوب ايطاليا فى سنه ١٨٨٧ بل بقيت آثارها حتى اواخر سنه ١٨٩٠

اسباب المرض — كان القدماء يعتقدون ان الكوليرا سببها ضرب من الجن ولاتزال العامة وخصوصا بمصر يعتقدون ان اولئك الجن سبعه يسمونهم (ضرابين الكوبه) بينهم سيدتان وشيخ يحامون عمن يريد الاخرون هلاكه ففى بعض الاحيان يحولون قبل ان يتمكن المفسدون من ضربه كثيرا فيشفى ولطالما سمعت بعض المرضى يصفون الجميع لى كما صوره الوهم لهم. كان اطباء الهند يعتقدون ان المرض يتبع طرق سير القوافل فى انتشاره وجاء سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم فنصح اتباعه بعدم دخول بلد موبوء او الخروج منه دالا بذلك على ان الوباء معد شديد السريان وكان بعض القدماء يعتقد انتقاله بالهواء والملامسة الخ ولكن السبب الحقيقى بقى فى حيز الخفاء حتى اتيح للعالم الالمانى الكبير كوخ خادم الانسانيه ان يكتشف جرثومة المرض سنه ١٨٨٤ وماهى الاعبارة عن باسيل الضمة وهو مخلوق سفلى اصغر من باسيل السل بهيئته انثناء خفيف يجعله يشبه الضمة رفيع الطرفين به ضخامة خفيفه بوسطه يوجد عادة فى غائط المريض وقلما يوجد فى قيئه يعيش فى الوسط العلوى وفى قصير اللحم واللبن الحليب والبطاطس و بقية الخضروات والملابس المبلولة والارض الرطبة وخير وسط فى الحرارة يوافق نموه ماكان بين درجتى ٣٠ — ٤٠ سنتغراد بيد انه قد يبقى حيا حتى لو وجد فى درجة ١٠ تحت الصفر و يهلكه البرد اذا وصل الى درجة ١٦ تحت الصفر والماء الغالى يبيده لوقته وكذلك الحوامض وخصوصا المعدنية منها و بالاخص حامض قلور الماء (هيدرو كلوريك)

اكتشف كوخ هذا الحيوان السفلى الذى لا تمكن رؤياه الا بالنظاره المعظمة وقرر انه سبب المرض الوحيد بعد ان قام بعدة تجارب على الحيوان وعدة مشاهدات فنية نفيسه على الناس مثبتا ان هذا الداء لايتعدى الامن طريق الجهاز الهضمى وحده ولذا يمكن وصفه بانه انتان معوى سببه تلك الجراثيم التى منشاها براز احد المرضى فصدقه الكثيرون من العلماء وشكرته الانسانية بيد ان بعض الاطباء لم يصدقه ولقح نفسه بباسيل الضمة او ازدراد بعضها ليثبت كذب دعوى كوخ فهلك بالكوليرا ومن اولئك اممريخ واستاذه بتنقوفر الذى نجا من المرض بسبب قوة جسمه وصغر الكمية التى ابتلعها من الجراثيم و للعلماء ابحاث وتجارب عديدة كلها اثبتت صحة دعوى كوخ وصدق اكتشافه الذى قضى على خرافات القدماء و بين للناس طرق الخلاص من هذا الوباء الفتاك حتى بات العلامة

ميتشنكوف يسميها بالوباء الوهمى اذ يكفى للسخرية به والتحصن من غوائله ان يعمل بقاعدة حصن فمك ضد جراثيمه تامن تماما

اقسام المرض وسيره — الكوليرا نوعان رطب وجاف والاول هو نوع الكوليرا الاسيوية الحقيقية المعتاد وجوده بنسبة واحد الى عشرة آلاف من النوع العادى واذا شئنا الحقيقة العلمية نقرر ان النوع الجاف هو نوع من الرطب شديد الفتك ثقيل الوطأة يقتل المصاب قبلما تجدامعاؤه المفلوجة وقتا لافرازما بها من المواد المائية القوام وهنالك نوع آخر يعرف بالكوليرا البلدية يصاب به الاطفال وبعض اصحاب الاجهزة الهضمية الرقيقة الذين يتناولون اغذية عسرة الهضم ولكن خطر هذا النوع وعدم وجود باسيل الضمه وعدم جدواها يجعلها خارج دائرة موضوعنا وبما ان الكوليرا الجافة نادرة جدا ويتعذر على غير الطبيب الحاذق تشخيصها نضرب عنها صفحا ونتكلم على سير المرض المعتاد

تظهر الكوليرا الاسيويه الرطبه فى ثلاث صور (١) اسهال الكوليرا (٢) الكوليرا الخفيفه (٣) الحقيقيه والسبب فى هذه المظاهر المختلفة يتوقف على مقدار قوة مقاومة الجسم وكمية الجراثيم التى اقتحمت المعدة واصلة الى الامعاء الرقيقة

اما اعراض المظهر الاول فلا تمتاز بشئ خاص بل كل مايحدث ان يصاب المريض باسهال غير مصحوب بمغص كي يكون لون المواد البرازية اصفر كالعادى بيد انها تعدم هذا اللون اذا ما اشتد الاسهال وازداد عدد تبرزه وبلغ الاثنى عشر مرة فى اليوم فيشتد ظمأ المصاب وتخور قواه ويفقد شهيته وتسمع اصوات حركات امعائه شديدة واذا انخفض صوته شعر بآلام عضلية شديدة فى ساقيه تكون هذه الاعراض بوادر الخطر وفى الغالب نرى المريض وقد تغلب على الجراثيم فيأخذ باسباب العافية فينقص عدد تبرزه ويغلظ قوام غائطه وتعاوده قواه تدريجيا حتى يسترجع حالته الطبيعية بيد ان البعض بدل ان يأخذ باسباب العافية ينقلب نوع اسهاله الى شكل الكوليرا الحقيقى فيهلك ومهما كانت النتيجة يلزمنا ان ننبه القارئ الى ان المواد البرازية هنا معدية كما هى فى بقية الانواع فيلزم التحوط منها ولا يغرنا استمرار الاسهال اسبوعا فينسينا خطره وحقيقة شره

اما اعراض المظهر الثانى (الكوليرا الخفيفة) فتفرق عن المظهر الاول بكل سهولة اذ فيه يبدأ الاسهال مصحوبا بالقئ الشديد ويكون عدد المتبرزات كثيرا ولذلك سرعان ما ينعدم لون المواد البرازية الاصفر وتصبح لا لون لها بل وفى

بعض الاحيان تصير فى شكل ماء الارز ان القئ فى بادئ امره يكون عبارة عن اكل المريض ثم ينقلب الى سائل مصبوغ بالمواد الصفراء ثم يميل الى الخضرة ثم يصبح كالماء ويشاهد فى المريض الظمأ الشديد والضعف العظيم وتغور العينان وتبرز نتوءات عظام الوجه ويخفض الصوت ويجف الفم حتى يلتصق اللسان بحلق الفم ويتألم المريض من اوجاع عضلية فى الساقين شديدة و تصبح حساسة حفرة المعدة شديدة حتى ان مجرد مسها يؤلم المريض اما البول فقليل جدا بل قد ينعدم تماما فى بعض الاحيان وقد يوجد به بعض الزلال ويبرد الجلد ويزداد عدد النبض غالبا وفى النادر يتناقص العدد. هذه هى اعراض المرض المذكور وفى غالب الاحيان يبدأ الجسم بالتفاعل او تعاوده العافية تدريجيا حتى يتم شفاؤه و قلما انقلب المرض الى دور الكوليرا الخانقة (احد ادوار النوع الثالث) او مات المصاب بسبب انتهاك قواه الجسمية تماما. اما اعراض المظهر الثالث (الكوليرا الحقيقية) فمن السهل تميزها عن النوعين السالفين لان لها علائم معينة ظاهرة لاتخفى على احد فالقئ المصحوب بالاسهال يكون شديدا وسرعان ما تأخذ المواد البرازية شكلها الخاص بها فتصبح كماء غسيل الارز اوكالشوربا ذات التربية (المطبوخة بالدقيق) ولا يبقى فيها من لون الغائط الطبيعى ورائحته من اثر بل تصبح رائحتها اقرب الاشياء من رائحة المنى او الاجسام المتفسخة و يتبرز المصاب كل عشر دقائق وفى كل دفعة يقذف حو الى النصف من هذا السائل البالغ ثقله النوعى ١٠٠٦ — ١٠١٣ والذى لا يحوى من المواد العضوية الا الاثر الخفيف بينما هو مشبع بالاملاح الغير العضوية عدا املاح البوتاسيوم التى تكون معدومة بالمرة و يشاهد فى هذا السائل اجسام سنجابية بشكل الارز و ما هى الا بعض حجر الغشاء المخاطى المبطن للاحشاء وبها توجد الجراثيم بكثرة تفاعل هذا السائل

اما القئ فيكون شديدا ويأخذ شكل السائل السابق بيد انه لا يحتوى على الجراثيم اللهم الا اذا بلغ من الشدة درجة قذف محتويات الامعاء لا المعدة فقط ومن جراء هذا القئ يبلغ الظمأ من المصاب درجة تجفيف فمه ولهاته بحيث تجعله يتلهف على شرب الماء الذى لا يسوغه حتى يقذفه قيئا فى اقرب حين ويقئ يوميا ثلاثين ليترا اما الاوجاع العضلية فتبدأ مع القئ او قبله بقليل وتكون فى الساقين ثم بالعضدين والساعدين ثم ببقية عضلات الجسم وتكون فى اول الامر

منقطعة بيد انها تشتد تدريجيا وتقترب نوباتها حتى تصير كل دقيقتين مرة فتجعل اقوى الرجال يجاهر بالشكوى من آلامها القاطعة ولكنها تنتهى عندما يدخل الرجل الدور الجليدى اوعندما يبدا دور التفاعل لاسترجاع الشفاء ومن الغريب انها تزول فجأة

اما بقية الاعراض فهى (١) صوت المريض يأخذ فى الانخفاض حتى ينقطع او يبقى عبارة عن همس خفيف بيد انه قبيل الموت اوفى دور التفاعل يعود فيرتفع (٢) الادرار يتناقص تدريجيا وقد ينعدم تماما بسبب فقد المريض المقادير العظيمة من الماء بواسطة القئ والاسهال واذا ما حلل وجد به بعض المقادير من السكر والزلال و خلاصة النيلة و اذا انقطع تماما اكثر من ثلاثة ايام يكون انذارا بالخطر اذ يقضى المريض نحبه مسمما باملاح البول اما اذا عاد بعد احتباسه فيكون بمقادير قليلة (٢٠٠ — ٤٠٠ جرام) ثم يزداد تدريجيا وظهوره فأل خير بالنسبة لحياة المريض (٣) النبض يزداد حتى يبلغ المائة او المائة والعشرين بيد انه لا يلبث ان يتناقص حتى لايشعر به الانسان فى الرسغ و تنعدم ضربات القلب ويسمع زئير احتكاك عند دورة القلب وماذلك الا بسبب الجفاف الطارئ على العضلات من جراء فقدان الماء الطبيعى لتركيبها (٤) التنفس يصبح قصيرا و سطحيا و قرب احتضار المريض نرى تركيب هواء الزفير مثل هواء الشهيق اذ لا تفاعل فى الرئة بسبب التغير الطارئ على الدم (٥) الحرارة تسقط عن الدرجة الطبيعية درجتين او ثلاث درجات سنتغراد مع ان المريض يشعر بنيران فى جوفه يمكن تعيين مقدارها بوضع الترمومتر فى المستقيم مدة عشر دقائق بينما جلده وخصوصا جلد وجهه يكون باردا كالثلج وقد يغطى بطبقة من العرق البارد وتسمى هذه الحالة بالدور الجليدى ومدته يومان بيد ان اغلب المرضى يهلكون فيه بعد ساعتين او اربعة (٦) جلد المصاب يبهت اولا ويفقد ليونته الطبيعية ويبين للناظر كانه اوسع من جسم المريض بكثير ويكسب رخاوة عجيبة حتى ان الانسان اذا مسه يظن انه جلد ميت واذا قرص قطعة منه بقيت ملتصقة ببعضها ولم ترجع الى وضعها الطبيعى حتى تغيرها انت ثم ان لونه يميل الى الزرقة القاتمة ثم يأخذ لون الرصاص او الدم الوريدى المشبع بغاز حامض الكاربونيك الى درجة عظيمة ويبقى هذا حتى بعد الوفاة كما ان الحرارة التى ترتفع قبل الموت بقليل تبقى زمنا غير قليل (٧) وجه المصاب

يدل على مقدار خطورة المرض بسحنته المخصوصة. عيون غائرة عظام الخد البارزة لون باهت سنجابى اجفان غير منطبقة تماما (٨) عينا المريض تضمر شحمتاهما فتغوران وتميل صدفتيهما الى الصفرة والعتامة وقد تبدو بهما بعض بقع سوداء اما القرنيه فتعدم لمعانها ويحدث بها بعض قرح واذا فحص قاع العين بالمنظار (اوفتالميسكوب) يرى لونه باهتا خلوا من اى دم و اشتداد صفرة الصدفية وعدم احساسية انسان العين انذارسىء (٩) احساس المريض فى جلده يفقد حتى انه لايتأثر من ورق الخردل او الخرقات اما قواه العقليه فتبقى حتى آخر رمقه بيد ان الكبير يصاب بهذيان بينما المعتوه او من به مس فى عقله ترجع قواه العقليه أثناء المرض حتى الموت (١٠) بطن المريض تكون غائرة نوعا ما اذا مسها الانسان وجدها فى قوام العجين بيد ان مجرد مسها خفيفا قد يسبب تبرز المريض مرة او اكثر وهى خاليه من المغص بيد ان القىء الذى يخرج من فم المريض بكل راحه وبدون عظيم مجهود قد يسبب آلاما فى دائرة المعده (١١) قوه امتصاص المعدة والامعاء تفقد بينما امتصاص الجسم للاشياء من تحت الجلد تصبح بطيئه جدا بيد انها لا تفقد تماما (١٢) قد يحدث نخر فى الاعضاء التناسلية خصوصا فى المرأه اوفى الاعضاء فيسبب نزفا وهذه علامه خطرة جدا تشعر بقرب هلاك المصاب

مما تقدم يرى القارى ان دور الكوليرا الخانقه (عندما يفقد النبض) والدور الجليدى ودور النخر وهو غير دائمى هى اخطر الادوار والمصاب عادة يقضى نحبه او يبدأ دور التفاعل والشفاء التدريجى فتنقطع الآلام العضليه فجأه ويعود النبض والبول وتكسب المواد البرازيه قواما غليظا ولونا اصفر بالتدريج حتى يعود المصاب الى حالته الطبيعيه بعد اسبوع او اسبوعين هذا ان لم يصب بنكسه او ينقلب مرضه الى الشكل التيفودى فيرحل من هذه الدنيا بعد ان كان الامل قد تجدد فى بقائه

اسئلة واجوبتها

مصاحبة النساء للجيوش المحاربة

(سؤال) ماذا تقولون فى خروج النساء مصاحبات للجيوش لمعالجة مرضاهم

وعصب جروحهم و تخفيف آلامهم. وهل ورد فى السنة النبوية او التاريخ القديم مايدل على وقوع ذلك على عهد الرسول عليه السلام ؟

(الجواب) ان خروج النساء الى ميادين القتال مع الجنود كان معروفا فى العرب قبل الاسلام وبعده . وقد اذن فى ذلك رسول الله بل رغب فيه فمن ذلك مارواه الطبرى فى تاريخه (١) ان محمد بن عمر ذكر ان عبدالله بن ابى يحى حدثه عن ثبيتة بنت حنظلة الاسلمية عن امها ام سنان الاسلمية قالت لما اراد رسول الله الخروج الى خيبر جئته فقلت يارسول الله أخرج معك فى وجهك هذا اخرز السقاء واداوى المرضى والجرحى ان كانت جراح والاتكن فانى انصر الرجل فقال صلى الله عليه وسلم اخرجى على بركة الله تعالى فان لك صواحب كلمتنى فاذنت لهن من قومك ومن غيرهم فان شئت فمع قومك وان شئت فمعنا قالت معك قال فكونى مع ام سلمة زوجتى قالت فكنت معها .

حكم اكل الفسيخ

(سؤال) سمعنا بعض العلماء يفتى بتحريم اكل الفسيخ (٢) وسألنا آخرين فقال لاتحريم . فماهو الحكم الشرعى فى ذلك مشفوعا ببيان الادلة وهل اتفقت الائمة الاربعة على رأى فى هذا الموضوع ؟ (٣)

(الجواب) لم يكن الائمة الاربعة عليهم رضوان الله يعرفون الفسيخ فالمسألة اذا من المسائل الاجتهادية .

ولقد كنا نسمع بعض الشيوخ يرون تحريم اكل الفسيخ لان لحمه يختلط بالدم خلال صناعته ويرون ان هذا الدم مسفوح والدم المسفوح محرم بنص كتاب الله تعالى اذ يقول (قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة اودما مسفوحا الآيه فذلك الفريق من الشيوخ لايبيحون من الفسيخ سوى الطبقة العليا.

والذى نراه انهم مخطئون جدا الخطأ وواهمون فى فهم معنى الدم المسفوح . واذا عرفنا ان الدم المسفوح هو السائل الجارى المصبوب علمنا ان الدم الذى يسيل من جسم السمك خلال صناعته بالملح ليس من الدم المسفوح كما ان الدم الذى يخرج من اللحم المشوى ليس بمسفوح ولايحرم اكله مع اللحم المختلط به .

(١) جزء ١٣٠ صفحة ٨٥ (٢) الفسيخ سمك يملحه المصريون ويكون خلال التمليح طبقات متراكمة.

(٣) السائل مشترك من ابى كبير بمصر .

وقد حكى القرطبي الاجماع على انه ليس من الدم المسفوح ما يبقى فى العروق بعد الذبح ولا ما يتلطخ به اللحم من الدم . فتحريم الفسيخ انما هو غلو واعتساف فى الدين الذى جعله الله يسرا وامرنا ان نوغل فيه برفق .

نتائج القول بقدم الارواح

توصل الفلاسفة ومن خاصتهم اليونان والعرب فكان من الاولين سقراط وافلاطون وارسطو ومن تابعهم حجة الاسلام الغزالى فخر الدين الرازى وابن رشد وابن مسكويه وابى نصر الفارابى وغيرهم عامة وهؤلاء اعتقدوا بوجود الله ازلى ابدى واجب الوجود بذاته خالق المادة وكونها ووهبها صورها ونظامها ، على ان هذا الاعتقاد لم يخل من ايراد كلمة الروح ، وانها بسيطة ابدية لا تقبل التغيير ولا النهاية له وما لا نهاية له لا بداية له مع ان اعتقادهم بالله كان اعتقادا مقرونا بوحدانيته فى ازليته فكون الروح ابدية يوجب انها ازلية ويترتب على ذلك كونها مشتركة مع فى الازلية ومن هنا تتسرب الينا فكرة هى منشأ البحث ..

اذا كانت الروح ابدية كما يعتقد عامة الفلاسفة المشتغلين بما وراء الطبيعة فذلك يقود الى انه اما ان تكون الروح قسما من الله (سبحانه وتعالى) — واما ان لا تكون ، فاذا كان الاول فذلك يوجب لله القسمة والتركيب والتبعيض والامتزاج بالماديات وهذا محال لانه تعالى بسيط لا يقبل شيئا من ذلك ، وان كان الثانى فقد جعلنا شركاء فى ازليته وابديته وربما يكون فى صفاته ايضا فما رأيكم فى ذلك لنهتدى الى الحقيقة ولما كان قصدنا الوقوف عليها مهما كان حالها آثرنا ان لا نرجع بانفسنا الى ظلمات المنطق بل الى مجرد البراهين والقياسات الصحيحة مع ايراد براهين عقلية صرفة قديمة او حديثة لان البراهين المأخوذة عن الكتب السماوية معروفة متداولة .

نرجو ان تحيينا بما تراه فى ذلك والسلام

يظهر ان اصحاب هذا السؤال لم يعتمدوا فيما سردوه من الاقوال وما عزوه الى اولئك الفلاسفة على رواية صحيحة وسند ثابت فان ارسطو مثلا لم يعرف عنه القول بقدم الروح بل المروى عنه العكس بنقيض ذلك وهو الحدوث

وكذلك لم يعرف عن الرازى فيما نعلم شئ فى امر الروح . اللهم الا ما يرويه هو عن غيره من الشكوك والاقوال

واذا اراد السائلون ان يعرفوا شيئا عن الروح من طريق العقل فقط كما جاء فى سؤالهم فاننا نخبرهم انه لم يوفق احد من الباحثين فى امرها الى معرفة حقيقتها فمن قائل انها الدم ومن قائل انها النظام الذى اذا اختل زالت به حياة الاجسام ومن قائل انها جواهر ليست مادية تتعلق بالجسم تعلق العاشق بالمعشوق (كما يقولون) ولكل من هؤلاء ادلة مسرودة لم تبلغ بمتدبرها مبلغ اليقين وقد نفردها يوما ما بكلمة وافيه . بيد انه لا بد لنا من تزويد السائل هنا بكلمة عاجلة فى الشق الاخير من سؤاله ذلك انه على فرض صحة القول بقدم الروح فانه لا يلزم من ذلك ان تكون جزءا من الله تعالى بل يجوز عند الفلاسفة ان تكون قديمة ومستقلة بوجودها والذين يجوزون قدم المادة وقدم الانفس الفلكية وبعض الاجرام العلوية لا يبالون ان يكون هناك كائنات قديمة غير الله تعالى فان ذلك لا حرج عليهم فى اعتقاده بعد اذ يرون ان الله تعالى علة العلل فكل كائن سواه متوقف فى وجوده عليه ولو كان ازليا ولا بد ان يكون السائلون قد قرأوا فى كتب الفلاسفة ان القديم ينقسم الى قسمين قديم بالذات وهو الله وحده وقديم بالزمان وهو كل قديم عندهم يكون ممكنا بذاته متوقفا فى وجوده على غيره ولذلك عندهم امثال كثيرة .

واننا ننصح لاولئك الباحثين بوجوب الاقلاع عن الخوض فى كتب الاقدمين فانها تعتمد فى غالب ابحاثها على الاوهام والظنون والفروض الاصطلاحية وحسبهم ان ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ .

وليعلموا انى لا اريد بذلك الحجر على عقولهم حتى لا تخوض فى المسائل العويصه ، وانما اريد ان ابين لهم ان اكثر ما وضع فى الفلسفة قديما انما هو ظنون وتخبطات وان كان من بينها ما هو جدير بالتدبر والعلم ومتى بلغنا فى تفسير القرآن مقاما يشاكل هذه المقامات فاننا سنوفيه حقه ان شاء الله فى ذلك .

تفسير آية

(سؤال) ما المراد بالنفس الواحدة وكيف جعل الله منها زوجها فى قوله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها . الآية؟) وهل حق ما يقال من ان هذه الآية الكريمة دالة على ان حواء خلقت من ضلع آدم ؟

(الجواب) يخطئ من يرى ان النفس الواحدة هى آدم وان زوجته هى حواء فان حواء وآدم لم يشركا بالله احدا . والذى عليه ابو مسلم الاصفهانى ويدل عليه سبب نزول هذه الآية ان المراد بالنفس الواحدة قصى . وقد جعل الله زوجه عربية من جنس قصى لا من قبيلة اخرى فلما اتاها

الله ماشاء امن الولد الصالح نسيا ماعاهدا الله عليه من ان يكونا له شاكرين ويعظمانته ذاكرين فسميا اولادها الاربعة عبد مناف وعبدالعزى وعبدالدار وعبد قصى مشركين بالله غيره فى تسمية اولادهم اذجعلوهم عبيدالغير خالقهم .

وفى هذا تنبيه على ان من صنوف التسمية المقوتة وان لم تكن فى نظر الشريعة كفرا تسمية المسلمين اولادهم عبدالرسول وعبدالسيد وعبدالنبي ونحوها فيجب على من اسمه شئ من ذلك ان يعجل بتغييره .

حكمة تسليط الشيطان على الانسان

(سؤال) لما ذا خلق الله الشيطان وسلطه على الانسان ؟ فان كان ذلك لامتحانهم فقد ارى رجلا لتحكم شهواته وهواه عليه وغلبة غريزته يقترف مانهاه الشارع من الخطيئات وآخر لكمال حصانه وسلامة فطرته يفعل الحسنات ويجتنب السيئات فهل للاول من عذر اذا لم يمنحه من الغرائز السليمة والمزايا السامية التى تزعه عن مسالك البغى والعناد وكيف يجرى الامتحان بين اناس هم متباينو الجبلة والاستعداد ؟ [١]

(الجواب) التحقيق ان الله تعالى يخلق خلقه لحكم فيها ومزايا مختصة بها. فليس الله بخالق حشراته وطيوره وانعامه وجنه لاجل الانسان ولا ليسلطها على الانسان . وانما خلقها وقدر اجزاءها لمعان وحكم فى انفسها . ويدل على ان الله لم يسلط الشيطان على بنى آدم قوله تعالى خطابا لابليس (اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين) .

فهل يفيد ذلك ان الله تعالى يسلط الشياطين على الانسان . وان شئت ادلة اخرى من آيات الله فتلك قوله تعالى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) وقوله (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) وقوله (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا)

اما ما ذكرتم من ان من الناس من غلبت عليهم شقوتهم فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وان منهم من سلمت فطرته ولم تغلبه شهوته فعمل الصالحات واجتنب السيئات فان هذا مبحث آخر لاعلاقة له بالشياطين ولا بالمساواة بين متباينى الطباع والغرائز فى الامتحان والابتلاء .

وخلاصة القول فى ذلك ان الله تعالى خلق الانسان وقدره ثم السبيل يسره

[١] السائل مشترك تركى من اهل قونيه .

ومعنى تيسير السبيل للانسان انه تعالى قبل ان يكلف الان منحه من القوى العقلية والقوى النفسية والجوارح مالا يجوز التكليف الابه (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) و (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) .

فمناط التكليف فى الانسان تحقق تلك الشرائط العقلية والنفسية والبدنية فاذا اختل نظام واحد من تلك الاقسام فان ذلك يسقط التكليف بقدره .

ولما كان من اركان التكليف بيان المحاذير والمنافع وشرح العقوبات والمكافاة اذ هى التى تزع النفوس عن اجتراح السيئات وتدفعها الى كسب الحسنات وصالحات الاعمال رفع الله التكليف عن عباده الابعد البلاغ المبين فقال (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ذلك ان البلاغ المبين الذى لالبس معه ولاابهام ولا تشكيك يحمل النفس على اليقين بما يقوله المبلغ من الوعود والايعادات وما يضعه من الحسنات والسيئات . وقد اثبتت المشاهدات انه متى رسخت العقيدة فى نفس صاحبها ظهرت آثارها على الجوارح وكلما تزعزعت العقيدة من النفس او زالت اقبل الانسان اذ ذاك على المحارم يرتكبها دون تحرج ولا خوف .

ومن الناس من يحمله حسن الظن بالله تعالى وفرط رجائه فى مغفرته على الايغال فى معاصيه جهلا منه بانه تعالى لايجود برحمته على من يجاهر بمعاصيه ويتعمد محاربته بمخالفة اوامره .

وهناك قسم من الناس يسهل عليه ارتكاب الفاحشة غفلته عن الله تعالى فان الغفلة عنه تعالى من اعظم ذرائع الكبائر والفواحش من القول والعمل .

وقد يكثر الانسان من مخالطة الخاطئين فيستخف اول الامر بملاقاتهم ومجالستهم ثم لايزال يستدرجه مجالسوه وسماره حتى ليلجن الباب الذى ولجوه فاذا ما فعل ذلك لاول مرة هونت على نفسه تلك الفعلة مابعدها .

فانت ترى من جميع ما اسلفنا ان اكثر الخطايا لم يكن الباعث عليها خطأ فى اصل الفطرة او نقصا فى نظام الخلقه وانما هو تقصير الانسان وتعطيله مواهب ربه اوغفلته عن مصدر الجلال والعظمة ومالك النواصى فى الدنيا والآخرة اويكون منشأه وهن العقيدة والتشكك فى انباء الكتب المقدسه وعدم الجزم بوعودها وايعاداتها .

اما اذا كان مبعث الخطايا عدم توفر شرائط التكليف كما هو الشأن فى الابله والمعتوه والمجنون والنائم واشباههم فان الله احكم واولى ان يرفع عن عباده اؤلئك تكاليفه واحكامه . فاذا تفاوت الناس فى استعدادهم ومواهبهم كان الله حقيقا الايسوى بينهم فى التكليف .

ومن ذلك مايعلمه السائل(فيما . ترجو) من ان طلاق المغلق لايقع شرعاً.
ومعلوم ان المغلق هوالذى هاجت اعصابه لغضب حتى جعل لا يكاد يميز مايقول
فأصحاب الامزجة العصبية الذين لايملكون انفسهم ساعة الغضب لا يؤاخذهم الله
عما يأتون فى غضبهم من القول اوالفعل .

الحديث وامور الدنيا

(سؤال) لقد علمنا ان من رايكم ان النبى صلى الله عليه وسلم لايؤخذ بقوله فى مثل مسائل الطب والاخبار التى ترجع امورها الى مصالح البشرومنافعهم وهذا غير ظاهر لى لامور .

(١) قوله صلى الله عليه وسلم اذا وقع الذباب فى شراب احدكم فليغمسه كله فان فى احد جناحيه داء وفى الآخر شفاء فان ذلك مما لايدرك بمجرد العقل اوالتجربة .

(٢) ماقاله ابن القيم فى زادالمعاد ان نسبة طبه عليه السلام الى طب سائر الاطباء كنسبة طبهم الى طب العجائز .

(٣) ان النبى صلى الله عليه وسلم قد اخترق السماء ليلة المعراج كما صرحوا به مما بلغ حد التواتر وبفرض عدم صحة الاحاديث يجب الجزم بان النبى صلى الله عليه وسلم لم يقل شيئا فى امور الملكوت الا بوحى فانه لم يعرف انه اشتغل بعلم الطب اوالفلك (ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا)

اما مسألة تأبير النخل ففى بعض رواياتها لعلكم لوتركتموها لصلحت .

الجواب — ان الرسول فى حديث تأبير النخل يقول انتم اعلم بأموردنياكم وليس فى اخبار الانبياء بالظنيات من حرج عليهم الاما كان من احكام العبادات والمعاملات والشرائع وامور الاخرة ووعودها ، ايعاداتها وهذا هو معنى قوله ولكن اذا حدثتكم بشئ عن الله فخذوابه وخطأ الرسول فى الامور الدنيوية بل وفى بعض الاحكام الاجتهادية ليس فيه من باس ولاينافى العصمة (يايها النبى لم تحرم ما احل الله لك تبتغى مرضاة ازواجك)

وما قاله ابن القيم فى زاد المعاد خطأ وكذلك ما استنبطه السائل من حديث الذباب ان جهل الانبياء بشؤون الدنيا والاقضية الفنية قد يكون ابلغ فى الدلالة على نبوتهم (راجع الجزء الثالث من الهداية)

فعصمة الرسل الواجبة انما هى فيما يبلغون عن الله من الاحكام على وجهها (يايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته)

يستند السائل على احاديث الاسراء ويقول انها بلغت مبلغ التواتر فتنقلب يقينية ونحن نقول لودرس السائل ماورد فى كتب التفسير كابن كثير والطبرى وغيرها لعلم ان تلك الاحاديث على كثرة اسانيدها متضاربة وان انس بن مالك يقول ان الاسراء كان قبل ان يوحى الى الرسول عليه السلام وان الرؤيا كانت قلبية لابصرية وقالت بذلك عائشة وحذيفة

واما صحة ماورد من تلك الاحاديث فاننا سنفرد له باباخاصا فى المستقبل القريب الا اننا نسلف للسائل هنا ان اكثر تلك الاحاديث لم يقطع بصحتها واذا وقع القطع بصحة بعضها اوبصحتها جميعا فان قطعية صحتها باعتبار سندها لاتدل على تجاوز معانيها ومضامينها حدالظن الذى لايستطيع ان يعارض قطعية المعقولات العلمية والمشهودات البصرية

وقد استشهد السائل بحديث الذباب المذكور الذى رواه البخارى وابن ماجه وصححه غيرهما ونحن نقول للسائل لعل هذا من الامور المظنونة التى كان يجرى بها علم طائفة من الناس فتلقاها صلى الله عليه وسلم وبلغها فظهور ما يناقضها بعد لايقدح فى بعثة المصطفى ولا فى رسالته فان هذا ليس من مشمولات ماتجب على الانبياء العصمة فيه (راجع الاسلام دين الفطرة)

فرسولنا صلى الله عليه وسلم وهو الرسول الفطرى الذى جاء بالبينات والهدى من ربه ليخرج الناس من الظلمات الى النور لايشينه ان يكون غير عالم بامور الدنيا بل ان ذلك ابلغ واقوى فى الدلالة على رسالته صلى الله عليه وسلم

ويجمل بنا ان نقتبس ما كتبه ابن القيم فى كتاب مفتاح دار السعادة فانه يؤيد ماقلناه سابقا ويطابق الفطرة قال فى صفحة ٢٨٢ من النسخة المطبوعة فى مصر

وقد سلك بعضهم مسلكا آخر فقال مايخبربه النبى صلى الله عليه وسلم نوعان احدهما مايخبربه عن الوحى فهذا خبرمطابق لمخبره من جميع الوجوه ذهنا وخارجا وهوالخبر المعصوم. والثانى مايخبربه عن ظنه من امورالدنيا التى هم اعلم بها منه فهذا ليس فى رتبة النوع الاول ولا تثبت له احكامه وقد اخبرصلى الله عليه وسلم عن نفسه الكريمة بذلك تفريقا بين النوعين فانه لما سمع اصواتهم فى النخل يؤبرونها وهوالتلقيح قال ماهذا فأخبروه بانهم يلقحونها فقال ما ارى لوتركتموه يضوء شيئا فتركوه فجاء شيصا فقال انما اخبرتكم عن ظنى وانتم اعلم بامور دنياكم والحديث صحيح مشهور وهو من ادلة نبوته واعلامها وكيف لاوقد خفى عليه مثل هذا من امرالدنيا وما اجرى الله به عادته فيها ثم جاء من العلوم التى لايمكن البشر ان يطلع عليها البتة الابوحى من الله فاخبر عما كان ومايكون وماهو كائن من لدن

خلق العالم الى يوم القيامه . فلوكان ماجاءبه ممايال بالتعلم والتفكر والطرق التى يسلكها الناس لكانوا اولى به منه واسبق اليه لان اسباب ماينال بالفكر والكتابة والحساب والنظر والصناعات بايديهم فهذا من اقوى براهين نبوته وآيات صدقه انتهى بتصرف

جمعية الدفاع الملى

قد قررت اللجنة المركزية لجمعية الدفاع الملى بعد مناقشات عديدة طويلة ضرورة دوام هذه الجمعية بعد الحرب القائمة لحاجة المملكة العثمانية الى جمعية بعيدة عن الاحزاب السياسية ومصادماتها حريصة على المصلحة الحقيقية للجميع كما تكون لحمة بين العناصر والاحزاب فتجمع القلوب المتنافرة وتصلح بين النفوس المتناكرة .

وعلى اثر ذلك القرار العظيم وضعت الجمعية لائحتها فاحببنا ترجمتها للقراء فيمايلى

الفصل الأول

فى بيان تشكل ومقصد الجمعية

ماده (١) تأسست جمعية باسم جمعة الدفاع الملى » بتاريخ ١٩ كانون الثانى ٣٢٨ على اثر اجتماع عقد فى صالون دار الفنون مركب من ذوات مجربين ومقتدرين علماً وفضلاً وموثوق بهم عند جميع الناس فى انحاء البلاد العثمانية على ان يكون مركزها العمومى ومرجعها القانونى فى الاستانة اما غايتها فهى الاعتناء بالتربية الملية والسعى وراء الشئون الحيوية والاقتصادية والعلمية كذلك وتعويد الامة السعى والعمل دائماً مع تهيئة الشرائط اللازمة لاعداد افراد من الامة للذهاب الى ميادين القتال عند الحاجة وعلى ذلك فالجمعية ستبقى دائمة مجدة فى سبيل تحقيق هذه الغايات الشريفة .

(٢) ان الجمعية عند الحرب تضع قوانين وقتية تعين به ما يجب عمله اثناء الحرب ويكون دستورا لعملها كما فعلت فى بداية شكلها .

(٣) الجمعية مكلفة برعاية جميع قوانين الدولة فى اجرائها وعدم المداخلة فى امر الحكومة وجل عمل الجمعية عرض المسائل الموافقة والخادمة لمقاصدها والنافعة للامة والمملكة ضمن اختصاصاتها التى حازتها من افراد الامة على الحكومة لتجلب نظرها اليها

(٤) الجمعية لادخل لها فى الفرق السياسية ولا بالسياسة مطلقاً وانما وظيفتها السعى فى ان تجعل الاعضاء المنتسبين اليها كاسرة واحدة لاهم لها سوى محبة الوطن والسعى وراء تنفيذ غايات الجمعية والتجرد عن الرغائب السياسية والذاتية

الفصل الثانى

فى بيان تقسيمات وتشكيلات الجمعية

(٥) مركز الجمعية العمومى فى الاستانة ولها شعبات مركزية فى الولايات والالوية المستقلة وشعبات فى الالوية والاقضية وتشكيل هذه الشعب الاخيرة يكون بنسبة تقسيمات شعب البلدية فى الاستانة وملحقات الاستانة اما شعبات الاقضية فمرتبطه بالالوية والالوية مرتبطة بالولايات والولايات بالمركز العمومى .

«٦» ان جمعية المدافعة الملية لاجل ان تصل الى غايتها راعت تقسيم المساعى فى معاملاتها لذلك قسمت تشكيلاتها فى المركز العمومى وفى الاقاليم الاخرى الى هيئات متعددة عينت لكل منها وظائف خصوصية وهاهى الهيئات المذكورة

(هيئة المالية)، (هيئة الوعظ) (هيئة التربية البدنية والعسكرية)، (الهيئة الصحية) اما فى المحلات التى لايمكن فيها ايجاد هيئات كما تقدم فتحال وظائفهم على هيئة واحدة

(٧) كل من الهيئات السابقة مستقلة فى وظائفها وقراراتها اما المعاملات التى تكون مرتبطة بين واحدة منها والاخرى والخصوصيات التى تكون مختصة بالمسائل المالية فانه يجتمع رؤساء الهيئات المذكورة ويتذاكرون بعضهم مع بعض وان اقتضى الحال ينتخب معهم ثلاثة اعضاء او سبعة بقرار المجلس العمومى يشكلون هيئة ادارية لينظموا الاحوال المذكورة آنفا

(٨) يجتمع اعضاء الهيئات المذكورة فى المادة السادسة ويشكلون المجالس العمومية

ماده (٩) ينتخب عن كل لواء وقضاء بالانتخاب السرى اعضاء لايتجاوز عددهم اكثر من خمسة ولايكون اقل من اثنين ليكونوا مندوبين فى المؤتمر العمومى الذى يعقد بمركز الولاية ويتألف من مجموع الهيئات الادارية

اما الالوية المستقلة فتقوم مقام الولايات . والاعضاء الذين ينتخبون لحضور المؤتمر العام فى مراكز الولاية يجوز انتخابهم من الولاية

ماده (١٠) ينتخب عضوان من مؤتمر الولايه حائزان للاكثرية المطلقة فيوفدان الى الاستانة ليحضرا المؤتمر العمومى المتألف من اعضاء الهيئة الادارية

المركزية ويجوز انتخاب المندوبين المذكورين عضوين فى لجنة الأستانة اذ ليس من المحتم ان يحصر انتخاب الاعضاء فى نفس الولاية.

(١١) يوجد مامورون فخريون وموظفون لمباشرة الشؤون الحسابية والتحريرية مرتبطون باللجنة الادارية .

(١٢) ينتخب روساء اللجنة باكثرية آراء كل هيئة ومدة الرئيس سنة ويجوز انتخابه ويترأس المجالس العمومية رؤساء الهيئة الادارية اما فى المؤتمر فينتخب الرئيس باكثرية اراء اعضاء المؤتمر وهذا الرئيس تبقى وظيفته مادام المؤتمر

١٣ — يجوز لرؤساء الهيئة المختلفة اذا طرأ لأحدهم عذر شرعى توكيل احد اعضاء تلك الهيئة الذى يراه موافقا اما اذا غاب رئيس المؤتمر العمومى لعذر شرعى فينتخب مكانه آخر باكثرية الآراء ويكون هذا الانتخاب مؤقتا

الفصل الثالث

فى بيان اوصاف الاعضاء والشرائط التى يجب سيرهم عليها

(١٤) ينتخب عضوا فى جمعية الدفاع الملى من لا يجعل انتسابه للجمعية وسيلة لماربه الحزبية ويشترط ان تبلغ سنه الحد المعين وان يكون مالكاً لحقوقه المدنية والسياسية فمن اراد ان يكون عضواً فى جمعية الدفاع الملى عليه يجب اولا مطالعة هذا القانون الاساسى ليفهم مقصد تشكل الجمعية وغايتها الوحيدة ثم يشهد الله و وجدانه الا يتذرع بالانتساب اليها لمنافعه الذاتية وان يكون منقاداً لاحكام هذا القانون

(١٥) كل من علم آمال ومقاصد الجمعية واقتنع انهما نافعة للأمة والوطن واراد تحقيق بغيتها يتعهد بدفع غرش واحد كل شهر فيصبح من اعضائها الطبيعية وله ان يزيدها او ينقص كل شهر ماشاء كما انه يجب على الاعضاء الذين يريدون دفع مبلغ سنوى مراعاة المادة الثامنة من قانون الجمعيات القائلة لا يجوز ان تتجاوز مايكتتب به فى الجمعيات سنويا اربعة وعشرين ليرة)

والاعضاء الذين يدفعون اعانة شهرية يمكنهم دفعها مرة واحدة عن سنة كاملة والتعهدات المذكورة لا تكون موروثة

كل فرد لم يتعهد بدفع شئ يمكنه اعانة الجمعية كما يريد ويشتهى

اما ارباب التعهد فيراعى فيهم الأهلية القانونية طبقا للمادة الخامسة من وقانون الجمعيات الا يعرفوا بسوء السلوك والا تصدر منهم احكام مخلة بالشرف ولا يسرى حكمها على ارباب الاعانة الصرفة

(١٦) على الذين يصبحون من اعضاء الجمعية الطبيعية اذا استعفوا من العضوية المذكورة قبل ختام السنة المالية التى دخلوا فيها دفع الاقساط

ادرنة

كلمة يناجى بها ادرنة شاعر العرب العراقى «معروف الرصافى» الذى تعرفه الامم العربية فى اطراف الارض ببديع شعره وحكيم قوله :

ادرنة صبراً فان الظبى ... سترعى لك العهد والموثقا
وداعاً لمغناك زاهى الربى ... وداعاً ولكن الى الملتقى

..

عزاءً لمسجدك الجامع ... أفارق محرابه المنبرا
وهل فى مصلاه من راكع ... يجيب المؤذن ان كبرا
فيا لسقوطك من فاجع ... به فجع الدهر ام القرى
و قبر النبوة فى يثربا ... ومثوى ضجيعيه مثوى التقى
ومن فى البقيع ومن فى قبا ... ومن شهدوا الفتح والخندقا

..

رويداً ادرنة لا تجزعى ... وان قد امضك هذا الاذى
اذا انت بالسيف لم ترجعى ... فلا حبذا العيش لا حبذا
فانك (الساسنا) فاسمعى ... ونحن الفرنسيس من بعدذا
سلام على قطرك المجتبى ... سلام على افقك المنتقى
أيمسى لشرك العدى ملعبا ... وكان لتوحيدنا معبقا

..

لقد حل فيها لواء الصليب … حلول الحقارة بين الجلال

فظلت بادمعها والنحيب … تنوح على نجمها و الهلال

أننسى ادرنة عما قريب … اذن لا بلغنا العلى والكمال

فسوف على الرغم من اوربا … نقوم لها فيلقاً فيلقا

فتبكى هزاهزنا المغربا … وتضحك اسيافنا المشرقا

..

أيقتدر الشعر ان يشكرا … كما يجب الشكر ذاك البطل

فتى كان فى الحرب مستشعرا … شعاراً اجلته كل الدول

فياسيف (شكرى) وكل الورى … غدت تضرب اليوم فيك المثل

سيجرى لك الشكر لن ينضبا … ويجرى الزمان به مغرقا

واما ذكرت حللنا الحبى … وقمنا كقومتنا فى اللقا

..

ارى الدهر انهض كل العدى … على حين قد قعد المسلمون

فكم اكؤس جرعونا الردى … ونحن على كيدهم صابرون

أيحسن ياقوم ان نقعدا … وقد آن ان ينهض القاعدون

فسيل المصايب غطى الزبى … وغيم النوائب قد طبّقا

واوشكت الارض ان تقلبا … وصبح القيامة ان يفلقا

..

دع الغرب ينعم فى حاله … وان لقى الشرق منه الكروب

ولا تسأله بافعاله … فعهد التمدن عهد كذوب

فنحن اغترنا باقواله … ولكننا بعد هذى الحروب

سنأبى عليه اشد الابا … فاما الفناء واما البقا

ونركب من عزمنا مركبا … ونرقى وان صعب المرتقى

..

لقد آن ياقوم ترك الونى … وترك الشقاق وترك الدد

الى كم نكابد هذا العنا … ونخبط فى جهلنا الاسود

وبالعلم من قبل نلنا المنى … وفزنا من العيش بالارغد

ولكنما العلم قد غرّبا … فلا عيش الا اذا شرّقا

فهبوا اليه هبوب الصبا … عسى ان يسحّ ويغدودقا

اخطار المستقبل

فطرت الامة التركية من الاخلاق الصحيحة على البسالة وقوة العزم وبذلك تمت لها فتوحها الكثيرة حتى اقامت جيوشها الجرارة على ارباض فينا عاصمة النمسا . ولكنها اليوم اخذت ترجع الى الوراء متقهقرة وماسبب تقهقرها الا انها لم تصبغ بصبغتها الجنسية من دخل تحت سيطرتها من البلغار والروم والصرب . ولاشك ان تقهقرها اليوم ليس مضرا بها فقط بل ضرره الكبير يعم جميع العثمانيين بل يعم العالم الاسلامي اجمع .

ولقد اصيبت الامة العربية من قبل بما اصاب الامة التركية اليوم ولكن سقوطها لم يكن فاجعا اليما كسقوط الامة التركية اليوم وماذلك الا ان الامة العربية لم تهمل فى عهد استيلائها سياسة الاسلام اى لم تهمل السعى الى صبغ من استولت عليهم من الامم بالصبغة الاسلامية .

قلت ان الامة العربية لم يكن سقوطها اليماً غير انى استثنى فى هذا القول فجائع الاندلس تلك الفجائع التى جرت فى عهد ثارت فيه ثورة الصليب على العرب من كل جانب .

وذلك ان العرب كانوا قد اخذوا يهاجمون اوربا بعد ان تم لهم الحكم على القسم الاكبر من آسيا وعلى ثلث افريقية . وكان لصولتهم من الدهشة ماهز شبه جزيرة اسبانيا حتى قلبها حكومة اسلامية فى مدة يسيرة من الزمان . بل كانت الراية الاسلامية اذ ذاك قد جاوزت جبال البيرنيه الى ماوراءها ايضا .

وكان هذا الاستيلاء العظيم قدهز اعصاب اوروبا خوفا ودهشة فكان من نتائج هذا الخوف ان اتفقت اوربا واخذت جيوش الصليب تزحف على العرب من كل جهة . لان الاروباويين قاطبة كانوا قد ادركوا ما للاستيلاء العرب من العاقبة الوخيمة التى يجترف سيلها الآتى لو استمر جميع بلادهم

ونحن اذا بحثنا عن الاسباب التى أدت الى انقراض حكومة الاندلس العربية فى الازمنة الاخيرة وجدناها اسبابا اخلاقية صرفة اذ نرى مكارم الاخلاق العربية قد عفتها دبور المفاسد ونرى الوحدة الاسلامية قد انحلت عراها حتى ساد الخلاف والتدابر بين العرب . ويمكننا ان نعرف مقدار ما كان لملوك العرب الاخيرين فى الاندلس من سوء الادارة والاخلاد الى الشهوات بما رأينا فى العهد الحميدى

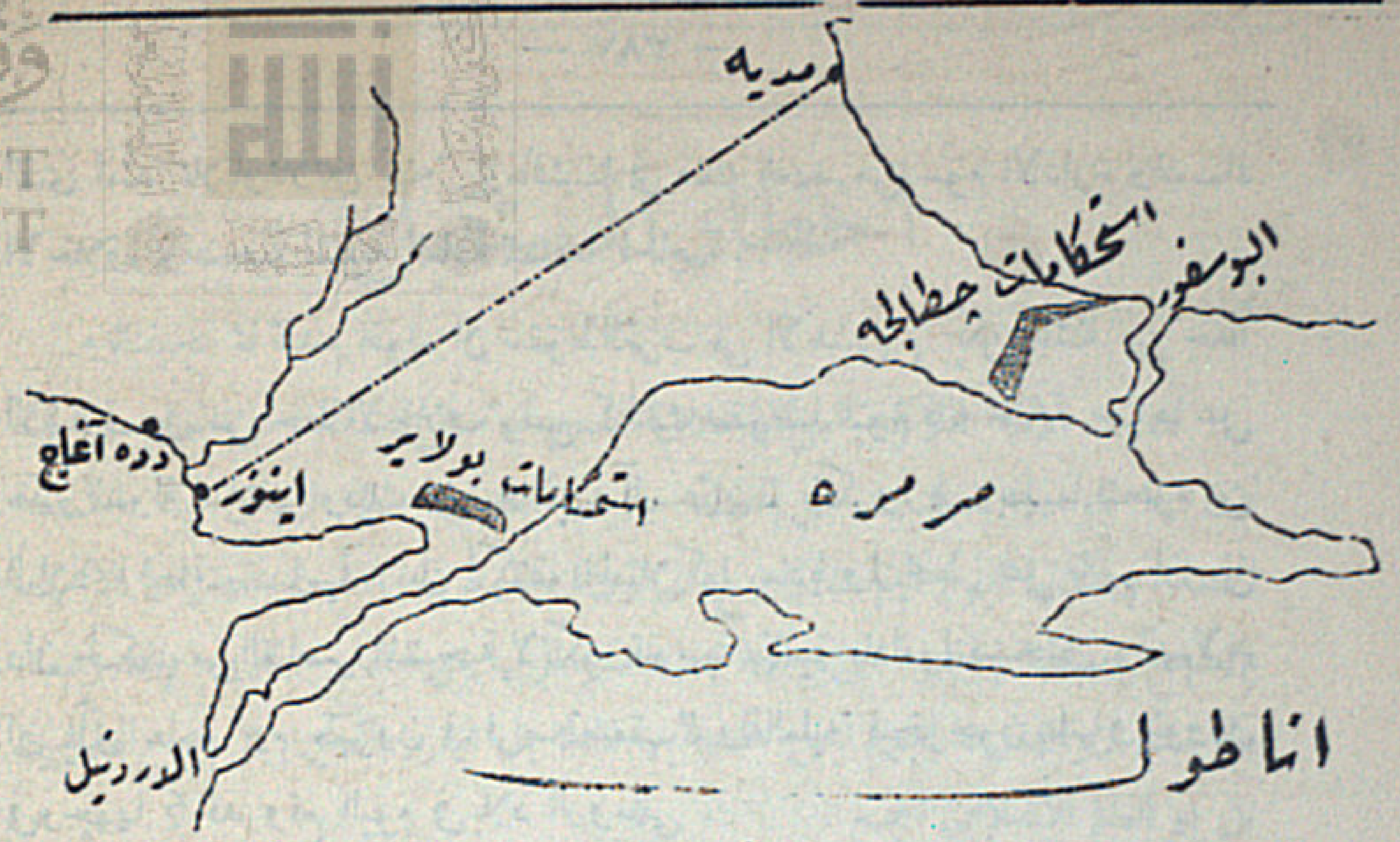
الذى امتد ثلاثاو ثلاثين سنة وما فشا فى ذلك العهد من سوء الادارة وفساد الاخلاق وتضحية المنفعة العامة للمنفعة الخاصة .

وبالنتيجة مما تقدم نقول ان سقوط العرب فى الاندلس لم يكن ناشئاً من خطأ الاسلاف بل من خطا الاخلاف وليس كذلك سقوطنا اليوم فانه جناية جناها على هذه الدولة اسلافها وذلك ان سلاطين آل عثمان لم يفتكروا فى ربط ما فتحوه من البلاد برابطة سياسية . بل اكتفوا بامتلاكها ماديا ولم يخطر على بالهم ان من دان لحكمهم من العناصر المسيحية لاتكون قلوبهم عثمانية مادامو مسيحيين وانهم لابد ان يأتى عليهم يوم ينتهزون فيه فرصة ضعف الدولة العلية فيخرجون عليها ويثورون فى وجهها كما قد وقع اليوم فى بلاد الروملى .

نعم ! ان سلاطين آل عثمان قد اخذتهم نشوة النصر فاكتفوا بفتح البلاد عنوة ولم يفتحوا قلوب اهلها فتحاً سياسياً . هذه بلاد الروملى فتحوها بالسيف ولكن تركوا لاهلها جميع عنعناتهم الملية والمذهبية وتركوا لهم تاريخهم وعاداتهم ولسانهم وادبياتهم وما غيروا من ذلك شيئاً ولا بدلوه . ولم يتبعوا ما اتبعه العرب قبلهم من سياسة التمثيل فهم اليوم لهذه الغفلة يتقهقرون وبهذا السبب يندحرون نحن معاشر المسلمين اليوم تجاه فاجعتين دمويتين من فجائع الدهر احدهما فاجعة اليوم الناشئة من خطأ الاسلاف والاخرى فاجعة الاندلس الناشئة من سوء اخلاق الاخلاف . فيجب علينا ان نعتبر كل الاعتبار بهاتين الفاجعتين ولنعلم اننا اليوم ان كنا خلفا لمن قبلنا فسنكون سلفاً لمن بعدنا وعليه فيجب ان لا يكون سعينا لهذا اليوم فقط بل للمستقبل ايضاً . ان مظالم البلقان ضربة قاهرة ان لم تكن قد ايقظتنا فليس للعثمانيين ولا للمسلمين من حياة فى المستقبل .

ولنعتبر بالالمان فانهم ما اقاموا دعائم هذه الامبراطورية الكبيرة الا بعد ان غلبهم نابليون شر غلبة وكذلك الفرنسيس مانهضوا نهضتهم الا بعد ان دمرتهم حرب سنة ١٨٧٠ فهم اليوم ينتقمون من الالمان ادبيا بتقدمهم العجيب . وكذلك يجب على العثمانيين ان يجعلوا المستقبل منذ اليوم نصب اعينهم ويسعوا السعى الحثيث الى كل ما به حياتهم فى المستقبل .

لاريب ان الملك العثمانى قد صغر فى هذه الحرب ولكنه اصبح ذا حدود طبيعية يسهل عليه الدفاع فيها كل السهولة . فان مابين مدية وانوز من خط الحدود الجديدة لخط موافق لما يقتضيه فن الحرب بحيث نستطيع ان ندافع فيه عن المملكة العثمانية احسن الدفاع .



انظر فى الخريطة المرسومة وتأمل فى خط الحدود الجديدة تجدان الدولة العثمانية بعد اليوم ليس لها حدود الا مع البلغار فقط وانها قد انقطعت جميع روابطها وعلاقتها التى كانت لها مع الصرب والجبل الاسود . فلا عدو لنا فى المستقبل الا البلغار . والبلغار اذا حاربونا بعد اليوم فليس لهم عندنا سوى هدفين احدهما وهو الهدف الاصلى الجيش العثمانى والثانى الاستانة . ولقد علمنا من هجوم البلغار على متاريس شطالجة وبولاير مقدار مالهذه المتاريس من الرصانة والمتانة التى ولاها جنود البلغار ادبارهم مع انها لم تكن الانتيجة عمل لم يستمر اكثر من شهرين .

اما بعدان تضع هذه الحرب اوزارهـا فلابد ان الحكومة ستنشئ فى هذين المكانين اعنى جتالجة وبولاير ما يسدها سداً محكما فى وجه العدو من المتاريس الجسيمة على آخر طرز وتجهز تلك المتاريس باضخم المدافع واسرعها بحيث اذا هاجمها البلغار رجعوا عنها بالويل والدمار . ولما فى هذين الثغرين من الضيق وقصر المسافة يكون اقتحام متاريسهما مستحيلا على نيران الاسطول المدمرة .

وعليه فلو فرضنا ان البلغار لايهاجموننا وحدهم بل يتفقون ثانية مع الصرب والجبل الاسود ايضا لماكانوا فى مهاجمتهم من هذين الخطين الاخائبين مقهورين .

ولكن يجب ان لاننسى ان هذا فى البر فقط واما من جهة البحر فنحن فى خطر عظيم . لان البلغار وان لم يكن لهم اليوم اسطول يذكر الا انهم بسبب اتساع بلادهم الى البحر الابيض اصبحوا فى اشد الحاجة الى اسطول يدافع عن بلادهم تجاه تركيا واليونان معـا فلا بد انهم سينشؤن لهم هذا الاسطول ولابد ان يكون من آخر طرز وعلى احسن ما يتصور من السرعة والمتانة .

وعليه فتصبح الدولة العثمانية مهددة من البحر باسطولين لعدوتيها البلغار واليونان.

ومن المعلوم ان هاتين الحكومتين بما اصبح بينهما من الجوار سيكون بينهمـا اختلاف كثير فليس من الممكن اذن ان تتفقا مرة ثانية . ولكننا مع ذلك يجب ان نفرضهما متفقتين دائما ونفرض ان كلا اسطوليهما يهجمان علينـا معاً اذ لاشك ان السياسة تابعة للمنفعة الداعية الى التلون والتبدل فى كل يوم فليس فى السياسة ما يقال عنه انه محال او مستبعد .

وقصـارى القول ان الدولة العثمانية ليست بعد اليوم فى خطر من جهة البر على ماشرحناه آنفا وانما هى فى خطر من جهة البحر اى من اسطول بلغاريا المستقبل واتحاده مع اسطول اليونان. ولذا يجب على الدولة منذ اليوم ان تراقب هذين الاسطولين فى قوتها البحرية ويجب ان تتأهب لهما منذ اليوم بحيث لاتدعهمـا يفوقان اسطولها وذلك بان تتبع الخطة التى اتبعها الانكليز تجاه الالمان فى القوة البحرية . فلاتترك هذين الاسطولين يفوقان اسطولها كما ان الانكليز لايتركون اسطول الالمان يفوق اسطولهم .

وعليه ففى اليوم الذى نعقد فيه الصلح يجب ان نعقد معه استقراضا كبيرا لانشاء عدة سفن حربية من طرز الدردنوط .

لاشك ان مقام الخلافة هو المستند الوحيد الذى عليه يستند الاسلام فى محافظة شرفه فيجب ان لايذهل المسلمون عن ذلك وان يعلموا انه لابد ان يأتى لمقام الخلافة يوم يضطره الى الدفاع عن حقوق المسلمين كافة . وهذا هو الذى دعانى هنا ان اتكلم عن واجبات العالم الاسلامى تجاه مقام الخلافة فاقول :

ان العالم الاسلامى لايمد الى مقام الخلافة الا يد الاستغاثة به عند كل نكبة تصيبه .

ولا ننكر انه يحق له ان يطلب الغوث منه ولكننا مع ذلك نراه يبخل ان يبذل ولو درهما واحدا فى سبيل كل مايستلزم تقوية مقام الخلافة وتهيئته للدفاع والذب عن حياض الاسلام . فلا بدع اذن ان يبقى مقام الخلافة ضعيفاً وان يكون حق الاستغاثة به ساقطاً.

اولم ير المسلمون العثمانيين من الروم والبلغار كيف يبذلون اموالهم لحكومتى البلغار واليونان رغماً من كونهم عثمانيين . هذا زرفودا كى فى مصر وهو رومى عثمانى قد تبرع باموال طائلة لاسطول اليونان . وناهيك بالدارعة آواروف اليونانية فان حكومة اليونان اشترتها بما تبرع به رجل واحد من تجار الروم فى مصر .

ولاحاجة الى ايراد امثلة كهذه من الانكليز او الفرنسيس او الالمان فان لهذه الامم من المناقب الوطنية مالانكون نحن تجاهه شيئاً يستحق الذكر .

فليعلم المسلمون ان دولة الخلافة لكى تستطيع ان تدافع عن حقوقها يجب ان تكون قوية وانها لاتكون قوية الا باسطولها فما علينا اذا اردنا ان نحيا حياة عزيزة الا ان نتبرع بالاموال لتقوية اسطولنا .

الا انلنا اليوم هاتفاً ينادى من وراء الغيب باعلى صوته قائلا .

« ايها المسلمون : اما ترون بطل البحر رؤف بك كيف دمر المتفقين وقلبهم راساً على عقب وكيف قد اغرق لهم تسع سفن وانزلها الى قعر البحر بما فيها من جند العدو وعدته الحربية ومدافعه الضخمة الحصارية وليس لهذا البطل سوى دارعة صغيرة فكيف لو كان له دارعة كبيرة من طرز الدرد نوط !

ايها المسلمون ! عظموا هذا البطل وبجلوه ولا تقتصروا من الحمية على تبجيله فقط بل اشتروا له دردنوطا وقولوا له خذ ايها البطل العظيم هذا الدردنوط العظيم فمن كان مثلك عظيما لا يجوز ان يكون سلاحه الا عظيما .

ايها المسلمون! اقتصدوا فى طعامكم وشرابكم وابقوا طاوين جياعا ووفروا المال وابذلوه لكى تعيشوا اعزة والا عشتم صاغرين مالم يكن لكم اسطول قوى يحمينا فى كل جهة من جهات البحر المتوسط »

ويتلو هذا الهاتف رؤف بك نفسه فهو ينادى باندى صوته ويقول :

« ايها الموحدون ! ألم ابرهن لكم على انى وحدى قادر على احياء مجدنا الماضى ولو بسفينة حقيرة صغيرة. فان اردتم الشرف وطلبتم العز فاعطونى دردنوطاً كبيراً فان ذلك حق لى عندكم وواجب محتم عليكم »

ولكن لا ينبغى ان نقابل صوت هذا الهاتف فقط بل لا ينبغى ان نجيبه الى ما طلب منا فعلا وليست الحمية عبارة عن رفع اصواتنا قائلين فليعش فلان او فليحى الوطن .

لاريب ان فى العثمانيين اليوم زهاء مليونين ممن يستطيعون ان يدفع كل واحد منهم ليرة فى سبيل الله فلو فعلوا لامكن بهذين المليونين من الليرات ان نعمل لنا اكبر دارعة من طرز الدردنوط. فلماذا لانفعل ؟

ويوجد فى مصر زهاء خمسة آلاف رجل يستطيع كل منهم ان يتبرع بالف ليرة فلو تبرعوا بذلك لحصل لنا منهم خمسة ملايين ليرة وامكن ان نعمل بها دارعتين كبيرتين من طرز الدردنوط. ولكننا لا امل لنا فى الاغنياء الذين تندر فيهم المحبة الوطنية ولكن املنا فى غير الاغنياء من الناس فانهم هم اهل الحمية. وفى مصر اثناعشر مليونا من المسلمين فلو تبرع كل واحد منهم بعشرة قروش لحصل لنا من ذلك مليون ليرة. على ان فى مصر من اصحاب الحمية وكبار النفوس مثل صاحب الحميه والغيرة دولة الامير الاريحى عمر طوسون باشا من يستطيعون ان يوجدوا الناجو عا كثيرة من اهل الحمية.

لاشك ان ماقامت به الدارعة حميدية من الوقائع الاخيرة قد اوجد لرؤف بك منزلة عظيمة من الحب فى قلوب اهل الاسلام كافة ولكن يجب ان لا تقف المسلمون عند هذا الحد . بل يجب بدل ان يهدوا اليه هدية شخصية ان يجمعوا الاموال فيهدوا بها اليه دارعة كبيرة فانهم لايجلونه ولايسرونه الا بذلك .

غزه‌لى جمال

مظالم البلقان

تقارير ووثائق

لايجهل احد ان الحرب الحاضرة انما هى حرب دينية القصد منها محاربة الدين الاسلامى ومحوه ولذلك قام فرديناند ونشر بلاغه المعروف ليستثير حمية جيشه وليبرر مايأتيه من الفظائع والوحشية ويوجد له نصيراً من الدول الاوربية .

ان الدناءة التى ارتكبها البلقانيون لو جمعت لملأت المجلدات الضخمة وليست هذه الوحشية التى يرتكبها العسكر الا اوامر صادرة اليهم من صوفيه واثينا فقد ظهر للاوربيين الذين كانوا ينظمون الجندرمة ان بلغاريا والصرب واليونان هى الملجأ للاشقياء والمأوى لهم وان جميع حركاتهم اظهرت ما كانوا يسمونه بالمسألة المقدونية ولولا ان كثيرا من الجرائد المنصفة مشتغلة بالبحث فى نتائج التحشيدات النمسوية والرومانية لملأت اعمدتها الكثيرة بذكر دناءة البلقان

ونحن لانريد الا ان نقص اخبار الوقائع التى تحصل باسم الصليب وباسم التمدن الاوربى ولنبدأ بالحوادث التى حصلت فى سلانيك

وردالى الباب العالى اخيرا تقرير يفيدان رجال الجندرمة العثمانيين الذين كان يجب ان تحفظ اسلحتهم جردوا من اسلحتهم وثيابهم وكل ماكان لديهم وقد نفى بعضهم وحبس البعض الآخر ولما شكا المظلومون امرهم الى القائد اليونانى لم يأبه طبعا لهم ولم يلتفت اليهم حتى انهم فى اليوم الثانى من تقديم الشكوى اعادوا فعلهم الاول وجردوا جميع رجال الجندرمة الباقية من الاسلحة ووضعوا الفين منهم فى محل لايسع الاماثتين واقفين على قدمهم ويا ليتهم اطعموهم مما كان معهم بل تركوهم يقتلهم الجوع وتؤلمهم المسغبة ولم ينقذوا من هذا العذاب الا ليم الا بعد الشكاوى العديدة وبعد ان عملت فيهم يد الفظاعة والوحشية ماتنفر منه الانسانية وتنكره الطباع البشرية وليتهم وقفوا عند هذا الحد بل كسروا ابواب المخازن المملوءة بالاسلحة واخذوا كل ماوجدوه فيها وصاروا يطوفون بالضباط العثمانيين فى الشوارع ويكسرون سيوفهم ويمثلون بهم وليست المصايب قاصرة على العسكر فقط بل كان كل مسلم فى سلانيك نصيبه ذلك لذلك نرى حوادث النهب والسلب فى سلانيك تزداد ولقد نشرت جريدة الداباً الصادرة فى ٦ يناير تقرير المسيو ليوتنان احد الضباط الذين استدعتهم الحكومة العثمانية لتنظيم الجندرمة قال

ان الاحوال كل يوم تزداد سوءا وان الالفين الذين من رجال الجندرمة لايزالون محبوسين فى مخزن الدخان ولقد امكننى بعد الجهد الجهيد والمتاعب الجمة ان احصل على ١٥٠٠ كيلو من الخبز لتوزع على الجندرمة بحيث ان كل شخص يأخذ نصف كيلو ومن الغريب انهم لايخجلون من قولهم اننا لسنا بمكلفين باطعام هؤلاء ولذلك لم اخجل ان الفت نظر المسيورا كتير الذى كان يخاطبنى وقلت له لو كانت الحكومة اليونانية تترك هؤلاء ينهبون لاعاش كل منهم نفسه . ولاجل رداءة الاكل الذى لم يكن الا الخبز المتحجر اتفقت مع القائم مقام شوقى بك على ان نوزع مقدارا من الدارهم على هؤلاء التعساء . ولقد اخذت من المسيورا كتيو ورقة مالية مقدارها ٤٠٠ جنيه وتحصلت على ٤٠٠ اخرى من طريق آخر وقد تأخرت السفينة التى خصصت لنقل الجندرمة الى جهة اسيا بسبب فقدان الفحم ولاسباب اخرى

ولقد كنت جعلت محلا مخصوصا بقرب قصر الحكومة ووضعت فيه الاسلحة ومهمات الجندرمة خوف ان تبددها ايدى اشقياء اليونان ولكن هذا الحرص لم يجد نفعا ولم يحدث فائدة فان اليونان كسروا المخزن واخذوا كل مافيه من الاسلحة ونهبوا ماوجد من الذخائر والمؤن ولمازرت المخزن وجدته خاوياً على عروشه فذهبت من فورى الى الحاكم لاريه آثار النهب والسلب التى لم تزل آثارها بادية فقال لى لاتخف فان كل ما اخذ سيرد اليكم وقال لايتسرب الى نفسك شئ من الريب فيما اقول فان الحكومة اليونانيه لديها كثير من الاموال التى تمكننا من رد الحقوق الى اربابها وتحملنا تبعة ما عمله بعض عسكرنا . ومع كل هذه الوعود كنت اشك فى صحة قوله ووعوده . ثم وضعت تقريرا بينت فيه ما اخذ وسرق وساقدمه قريبا الى الحكومة اليونانية .

وقد اخذ رجال الجندرمة اليونانية والعسكر اليونانى امس يلقون القبض على الضباط العثمانيين فذهبت الى منزل رفيقى القائممقام شوقى بك فوجدت ضابطا يونانيا وبعض رجال من العسكر اليونانى يراقبون المنزل خوف ان يسافر شوقى بك وذهبت الى قنصل انكلترا واخبرته بهذه الافعال الفظيعة فقبل القنصل انكارى على اليونان ما فعلوا وذهب معى الى المسيورا كتوان وابلغنا احتجاجنا الى البرنس نيقولا بواسطة ياوره فأخبرونا انهم انما قبضوا على الضباط العثمانيين لانهم اعطوا الباسابورتات للمهاجرين ليسافروا الى بلادهم اخذوها منهم وارادو الذهاب بها الى مناستر ليكونوا هنالك قوة جديدة يحاربون بها فلذلك قررت الحكومة

اليونانيه نفيهم . ثم سألت عن ان هذا القرار سيعم الضباط كلهم او هو مخصوص ببعض ضباط فان كان هذا القرار عاما كان ذلك مخالفا لما كانوا اتفقوا عليه مع تحسين باشا . ثم قلت ان ضباط الجندرمة بريئون من كل شئ فقال لى الحاكم ان هذا الامر لايشمل ضباط الجندرمة .

وقد تيسر لى روية شوقى بك فى (بياض قلة) وهنالك رايت ماينيف على ثلاثمائة ضابط يسوقونهم الى الباخرة تمستوقل لينقلوهم الى حيث لااعلم وقد كان من هؤلاء غالب باشا قائد فرقه سيروز .

فمن هذه الحوادث التى الرعب فى قلوب الاهالى وصاروا يبكون على مااصابهم من الحظ السيئ . وان الاحوال كل يوم تأخذ شكلا جديدا فان القتل اصبح عاما ضد كل مسلم واصبحت الاعراض تهتك على قارعة الطريق بدون حياء حتى انهم اصبحوا يفتخرون بكل مايحصل .

هذا كتاب من رجل اجنبى ومنه يعلم مقدار الفظائع التى يرتكبها اليونان الذين يزعمون انهم واضعو اساس المدنية ومصدر الحضارة ونسل الذين بهروا العالم بماوصلوا اليه من الرقى والحضارة

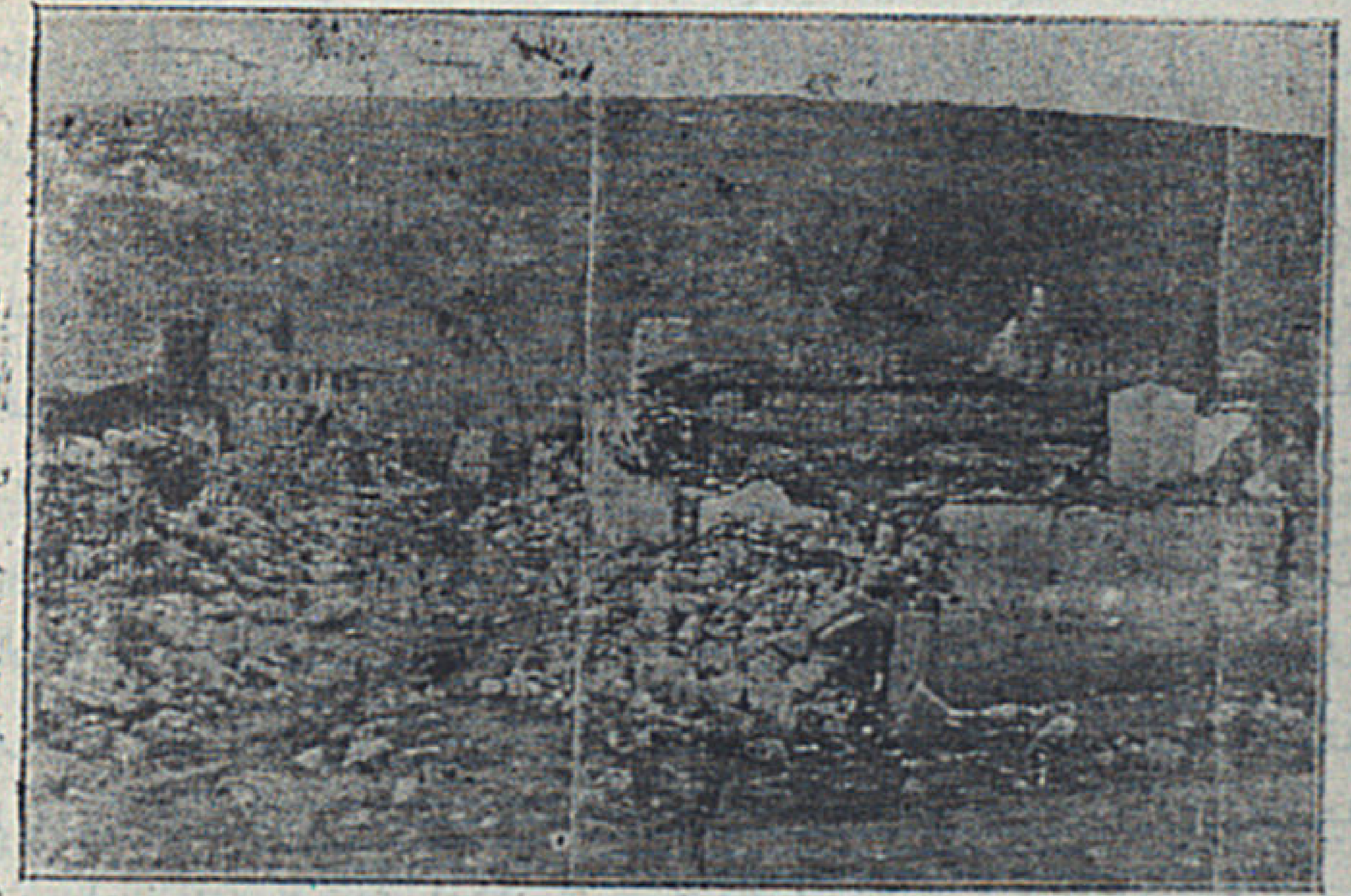
واليك ماقصه دمير اتما الذى جرح فى ليواد تودا حسبماشاهده قال :

فى يوم الاحد الساعة الثامنة صباحا خرج تابوران من عساكر اليونان المشاة تصحبهم جماعة من الاروام معروفون واخذوا منا ثلاثين شخصا وساقونا الى الجسر المتخرب بجوار بانيق كوى بحجة انهم سيتلون علينا بلاغا رسميا فلما وصلنا الى المكان الذى اخبرونا به كبلونا بالقيود ثم سلوا المدى واخذوا يطعوننا بها فصرنا نصرخ فلا احد يجيب دعاءنا ولارحمة تدفعهم الى تركنا ولكن بالرغم من الاغلال والسلاسل التى قيدنا بها تمكن جماعة منا من الفرار فصاروا يرموننا بالرصاص ولكن لم يصبنى شئ . ولقد اختفيت وراء صخرة اربعة ايام لانى لم يمكنى متابعة العدو بما فى رجلى من الاغلال وفى اليوم الرابع صادفت صبيا ابن راع ففك وثاقى حتى امكننى الرجوع بعد اسبوع الى سلانيك .

وفى قريتى لاهما وزاعران قتلوا ستين رجلا وأحرقوا جثهم بالبترول حتى صرنا لانعرف اسماءهم . ولقد قتلوا امامى اسكندر خواجه ونعمان اغا واسماعيل خواجه ومولى ابراهيم واحمد حسن ورمضان وهذه اسماء الذين كانوا يقومون بهذه الوحشية (قلايجى خرستو . سمرجى يورك . يوان انكلى ابن قوجو . طناش ابن طرقو . لموا بن ايليا اغريبوز بترو واخيه اندون غابريل) وكثير غيرهم لم اعرف اسماءهم .

وفى يوم الاحد ٢٣ نوفمبر دعينا الى الجامع وكنا نحو الستين فاجلسونا فى الجامع وصار البلغار واليونان يقولون (عثمانيون ! !) ثم امرونا بالقيام لينظرنا الضابط قوريجوف فاطعنا بالطبع امرهم فلما وقفنا مدة استدعوا منا عبدالله بن على ويوسف حسين وصقالى حسن ودمير على حسين ومحمد اوغلى شكرى وساقوهم الى حرش يسمى لوزلر وهنالك اصلوهم نيران عذابهم ثم قتلوهم وبعد مدة ساقوا من بقى منا الى نقطة على شاطىء نهر واردار واذاقوهم العذاب الاليم ثم قتلوهم ولقد تمكن محمد اوغلى مصطفى من الفرار الى قرية مرعشلر بجوار سلانيك اما باقى اخواننا فقد لاقوا ربهم .

وفى قرية رحمانلى قتلوا ستين مسلما من الاشراف ثم صاروا ينهبون المساكن بوحشية لم نرها من قبل ولم يكتفوا بتعميم القتل والنهب بل تجاوزوا ذلك الى اكراه المسلمين على الارتداد ومن لم يرتد ادخلوه المسجد مع اخوانه ونسفوهم بالديناميت واليك تقريرا آخر كتبه الجنرال رومان الفرنسى مفتش عموم الجندرمة العثمانية فى مقدونيا قال .



كيف ترك البلغار قرى المسلمين فى شتالجه

فى الساعة الثامنة من مساء يوم ١٩ نوفمبر دخلت عصابة من الاروام المدينة فجأة وقد كانت المفرزة العسكرية تحارب الاشقياء ولكنها انسحبت للاتصال بفرقة ياور باشا الذى كان يحارب الاشقياء ولكنها انسحبت للاتصال بفرقة كوملجنه

فانتهز الاشقياء انسحاب الجنود العثمانيين واخذوا يعملون القتل والسلب فى المسلمين بدون رحمة ولا شفقة وقد كانوا لا يتركون صغيرا ولا كبيرا ولا رجلا ولا امراة وقد كان المسيحيون يرشدون الاشقياء الى بيوت المسلمين ويعلمون بيوتهم بصليب ابيض حتى لا يصيبهم شئ

ولما راى المسلمون مايقع عليهم التجأ نفر منهم الى المسجد فلما رآهم الاشقياء تبعوهم وارادوا ان يفتكوا بهم فاخرج احد المسلمين اللائذين بالمسجد مسدسه وصوبه الى احد الاشقياء فقتله فكان ذلك سببا للهياج فقام الاشقياء وحملوا على المسجد وقتلوا كل من فيه من المسلمين ولقد رايت ثانى يوم من الواقعة ٢٥ نفسا صرعى الظلم والغدر والوحشية والتجأ ثلاثون مسلما الى مدرسة الرهبان الكاثوليك التليانية غير ان الاروام دلوا عليهم الاشقياء الذين ذهبوا من فورهم الى المدرسة وطلبوا من الرهبان تسليم المسلمين فابوا غير ان احد الاتراك المدعو رضا بك قوميسير الدولة العثمانية فى السكة الحديد الفرنسية سلم نفسه الى الاشقياء خوف ان يسرى للرهبان ضرر من اجل حمايتهم فحاصروا الشاب بالسلاح واكرهوه على



كيف ترك المسلمون قرى المسيحيين فى شتالجه

ان يسلم مامعه من الدراهم وان يعرفهم بيته الا ان ذلك الشاب الذى خاف على عرضه ان يدنس ابى ان يدلهم على شئ مما طلبوا مفضلا الموت على العار فلما رأوا صلابته طعنه احد الاشقياء بمدية فى يده فخر قتيلا يتضرج فى دمه ثم صاروا

يتزعون ملابسه ويلبسونها وقد بقيت جثته فى الشارع نحو الخمسة ايام فما افظع هذا وما اقبحه. ثم رجع الاشقياء الى الراهب التليانى وهددوه بالقتل ان لم يدلهم على محل الخزينة ولكنهم عثروا عليها فاخذوا مافيها واظنه ١٠٠ ليرة عثمانية .

اما الذين كانوا يرشدون الاشقياء الى المدن ويساعدونهم على فظائعهم فهم الاروام واشرافهم !! ومن الغريب ان اشراف الاروام هم الذين كانوا يشتغلون بالسرقة اكثر من غيرهم فبئس هذا الشرف الذى يسوق اهله الى فعل الدنايا او يدفعهم الى ارتكاب القبائح والفظائع

ولقد استمرت هذه الاعمال الوحشية ثمانية ايام كنت لاترى الا الجثث المملوءة بها الازقة والشوارع ولاتسمع الا انين الذين نكبوا ولم يقف اولئك الاشقياء عند حدهم الا وقت ظهور العلم الفرنسى على الدارعة جوريبلنى دولاغراوبير فانهم لما رأوا تلك الدارعة خففوا من غلوائهم حتى ساد الامن بعض الشئ . ولم تقتصر هذه الوقاحة والدناءة على المسلمين بل كان للاجانب نصيب فيها فان الاروام قد ازروا بشرف المسيو برغويللوين قنصل النمسا واهانوه ولقد بلغ بهم الحمق والجهل مبلغا ربما كان سببا لهلاكهم فانهم كانوا يريدون اقفال كل المحال الاجنبية ويؤسسون غيرها خصوصا المصارف المالية

ولقد رأى الضباط الفرنسيون بأعينهم الفظائع التى كان يرتكبها البلغار فى دده اغاج حتى انهم اخذوا كثيرا من صور المنكوبين المسلمين ولما وصل البلغار الى دده اغاج ارتكبوا من الفظائع مايحزن له صدر كل انسان منصف حتى ان الرهبان التليان شكوا الى الجنرال متربوليدامرهم لان عصابة الاشقياء قد تعدت عليهم واهانتهم وسرقت اموالهم ولما اخذ الجنرال فى التحقيق وجد سبعين ليرة من المائة التى اغتصبوها سابقا ولكن هذا الجنرال صعب عليه ان يرد الاموال الى اصحابها ولذلك قال سنحتفظ هذا المبلغ ليكون اعانة لتمثال العساكر الذين قتلوا فى سبيل خدمة وطنهم

وفى اليوم الثانى من دخول البلغار المدينة هاجموا مخزن المسيو روديس قنصل المانيا ووكيل نقل شركة شنكر فنهبوا كل ما وجدوا فيه واخذوا مائة صندوق من السردين ومائة اقه من السكر وغير ذلك ولما رفع الامر الى القومندان قال نحن الآن لانعمل شيئا لاننا فى الحرب ولا نعلم ماعمله الاجانب من جراء الفظائع التى لحقتهم ولقد وضع البلغار يدهم على السكة الحديدية الفرنسية وطردوا جميع الموجودين فيها عثمانيين طبعا وفرنسيين واقاموا عوضا عنهم موظفين بلغاريين ولقد

كان جهل هؤلاء البلغاريين بسير القطارات سببا لخروج العربات عن الخطوط الحديدية حتى سبب ذلك خسائر جسيمة

ولذلك اجتمع الفرنسيون وقرروا اتخاذ الاحتياطات للدفاع عن انفسهم فان الاروام قد غلوا فى الامر وجهلوا عاقبة جهلهم وحمقهم ولقد حمدنا الله على وصول الباخرة الفرنسية التى اقلتنا الى الاستانة

فى طوبران

وابتدأت الفظائع فى طوبران بتشكيل مجلس اصدر حكم الاعدام على مائتى نفس من المسلمين فى نية عشر يوما وكثير من هؤلاء المظلومين جعلوا اهدافاً لرصاص رجال العصابات قبل ان يعدموا بمقتضى حكم المجلس . وتأكد لنا ان بين هذه الضحايا كثيرا من البنات قتلن بعد ان هتكت اعراضهن وحكم المجلس المذكور على كثير من المسلمين بدفع مبالغ كبيرة ونذكر منهم اسماء الذين عرفناهم .

اخذ من على بك ١,٠٠٠ ليرا عثمانيه وبعد اخذ هذا المبلغ قتل شرقتله وكذلك جاويد بك من استرومجه بعد ان سلب منه مبلغ جسيم كان حظه القتل واخذ من محمد امين افندى مفتى عثمانيه ١٥ ليرا ومن ملا احمد حسين ٤٠ ليرا ومن الحاج عثمان ٣٠ ليرا ومن حقى بكرى ٢٠ ليرا ومن محمود افندى ٢٥ ليرا ومن رجب شاويش ٥ ليرات ومن توفيق مأمور الريجى ٣٥ ليرا ومن مدير التلغراف ١٧٥ ليرا ومن شوكت افندى امين الصندوق ٨٠ ليرا ومن مأمور الريجى فى استرومجه ٨٠ ليرا .

قتل المهاجرين فى طوبران

لما راى المسلمون ان عصابات البلغار تخرب وتنهب القرى فى كل مكان اضطروا الى الفرار امامهم من الشمال الى الجنوب وقد التجأ قسم كبير من اهالى رادويشته واسترومجه وعثمانيه الى طوبران فبعد ان جرى القتل والنهب اللذان ذكرناهما فى طوبران أجبر هؤلاء اللاجئون على الرجوع الى محلاتهم بعد اعطائهم التأمينات الكاذبه وهددت العصابات بالقتل كل من لايعود الى محله فى مدة قصيرة حددت وباحراق بيت كل من يضيف مهاجراً . واذ ليس فى الامكان عدم الاطاعة قد رجع هؤلاء المظلومون منقسمين الى اربع فرق كل فريق يتراوح مقداره بين ثلاثه واربعة الاف نفس اما الجماعة فبلغ

عددها ٤٦٠٠ نفس واكثرهم من الاولاد والنساء المسنات وقد ساروا بعدالظهر وما كادوا يخرجون من طوبران حتى هجم عليهم البلغار فقتلوا اكثرهم وساقوا الباقين الى قريه قاسطورا بين استرومجه وطوبران حيث نهبوا جميع مامعهم حتى ماابقوا على ابدانهم سوى القمصان والسراويل وقبل ان ينتهى الليل اجبروهم على السير وقسموهم الى جماعات صغيرة حيث اعملوا فيهم الحراب والفؤس حتى اتوا عليهم كلهم

والفريق الثانى الذى يتألف من ٤٠٠٠ نفس لم يبق منه احد كالاول و ٣٠٠٠ نفس التى كان يتالف منها الفريق الثالث قتلت عن آخرها اما الفريق الرابع فقد قتلوا قسماً منه فى (طرابانا) والقسم الآخر خارج استرومجه قرب الحفر التى حفروها غير انهم اقتصروا فى هذه المرة على قتل الرجال وابقوا النساء

ويقدر عدد الذين قتلوا من المسلمين فى جهات استرومجه بستة آلاف اضف الى ذلك العدد العظيم الذى ضحى من المهاجرين الذين ذكرناهم ففى قرية (ووليوس) التى تحتوى على ٤٧ بيتاً ماسلم من اهلها سوى ثلاث انفس فقط وفى قريتى (برورينك) و (شوشيتير) قتل الرجال وافتضت البنات وعمدت النساء قسرا وقد جرى من الفظائع بجوار طوبران كاجرى بجوار استرومجه فاعدم ٩٠ رجلا من قريه بيوكلى وما تخلص من القتل من رجال قرى بيوكلى وشبللى كاكشته وآشاغى محله سوى اربعه رجال لاغير .

فى قضاء اخى شابى

فى ١٢–٢٥ تشرين اول سقطت بلدة اخى شلبى مركز القضاء فى ايدى البلغار وبعد يومين سقطت بلدة بلاس ايضاً وبعده قرى البوماق (ترك الروملى) وهى اسميلان . قارشيلى كبير . قارشيلى صغير . افلاح . تارين . طوبوقلى . يونس دره . فندبجق وغيرهـا فجميع هذه القرى احرقت والقسم الكبير من اهليهـا الرجال ذبحوا والنساء ابيحت اعراضهن وتركوا مشتتين حفاة جياعا والبنات اللواتى اعجب بهن البلغار ارسلن الى بلغاريا ونذكر من اسماء الضحايا المعروفه ادم آغا باشماقلى قبض عليه من قبل رئيس عصابه بلغاريه اسمه غاواريل بن باباراهيتو وعائلته رميت من اعلى جسر باشاقلى الى النهر وذبح على اغا من قرية بوسنى امام حانوته كما تذبح النعاج

مظالم البلقان ايضا

تقرير الجمعية البلقانيه فى لندن

نشرت جريدة (دويج وولقسبلات) مكتوباً اتاها من لندن فى ٢٨ مارس وهذا تعريبه :

كانت الجمعية البلقانيه فى لندن اوفدت من قبلها المسيو (ويلغ جونغ) قنصل انكلتره فى فيليبه بقصد اعانة المحتاجين الذين اجتاحتهم مصايب الحرب الخاسرة فبعد ان تجول المومى اليه فى الجهات الشرقيه من مكدونيا قدر خمسة اسابيع نشر تقريراً تحت عنوان (مظالم متفقى البلقان) وقد اوضح المومى اليه فى تقريره هذا الفظائع التى ارتكبتها دول البلقان فى البلاد الى احتلتها فكان لهذا التقرير تأثير شديد وبغض زائد للعصابات التى كانت الدليل للجيوش المنظمه فى سبيل تلك الاعمال البربريه فبدأ المسيو ويلغ جونغ بذكر القتل العام الذى جرى فى صارى شعبان واخى شلبى وتيكوش وتبريج وعورتحصار وكوملجنه وطوبران وقال فى مقدمة تقريره ان جميع المتحلين بشعار الانسانيه لايمكن ان ينسوا الفجائع المدهشه والاعمال الدنيئه التى هى سمة عار فى وجه تاريخ المدنيه . فاذا صح ما يقال من انه يوجد عدالة على وجه الارض وجب ان يجازى اشد المجازات كل الذين كانوا السبب فى وقوع هذه الوقائع المؤسفه والضربه القاضيه التى اصابت راس الانسانيه .

ان اهالى القرى التى كانت عرضه لاستيلاء العساكر البلقانيه اضطروا للمهاجرة الى القصبات والمدن اذ تكهنوا بما سيلحقهم من الاذى على ايدى العساكر المذكورة وقد امتلأت كوملجنه وبتريج وطوبران بمهاجرى الاسلام ولكن حكومة البلغار عملت كل جهدها وبذلت كل تأميناتها الكاذبة حتى اقنعت هؤلاء المساكين بضرورة الرجوع لمحلاتهم القديمة فبدأوا اذ ذاك يرجعون فريق تلو فريق اما الفريق الاول وكان عبارة عن ٤٦٠٠ نسمه نساء واولادا فانه ذبح عن آخر فرد منه خارج كوملجنه بايدى العساكر والعصابات .

والفريق الثانى الذى اضطر الى البيتوتة ليلاً فى قرية قوستارا بين طوبان

واستروبجه سلب جميع ما معه حتى الملابس التى على الابدان والذى تشبث باهداب الفرار قتل برؤس الحراب وهتكت اعراض النساء اللواتى كن يرافقن هذا الفريق . وقدتبين انه قتل من هذين الفريقين سبعة الاف اكثرها نساء واولاد لايعرفون كيف يدافعون عن انفسهم ولقد اعدموا بلاذنب بصورة وحشية تقشعر منها الابدان .

حصلت منازعة فى تيكوش بين الفصيلة العسكرية الصربية وبين عصابات البلغار وقدقتل عسكرى صربى هو وافراد من العصابات رجلا مسلما اسمه حسين اشنع قتله بعد ان نهبوا جميع ماله. وقد اسند البلغار هذا الفعل الى الاسلام وبهذه الوسيلة بقوا ثلاثة ايام ينهبون قصبة (قوادار) واعدم جميع الذين ارادوا اظهار الحقيقة ونهاية العمل هناك كان احراق الناحية جميعها .

تجمع اهالى قصبة (فاشوط) التابعة لعورتحصار فى جامع وفى مستودع للذخيرة فاحرق البلغار هذين المحلين بمن فيهما من الاهالى وكانوا يقتلون بالرصاص الذين تشبثوا بالفرار من هول النار وملابسهم مشتعلة على ابدانهم .

وهكذا استمر الموسيوجونغ يأتى فى تقريره على تصوير الفظائع التى ارتكبها البلقانيون وذكر فى النهاية احصاء بين فيه ان الخسائر التى اوقعتها العصابات تقدر بخمسين مليون قورون وعدد القتلى باربعة ملايين من النفوس

ان الشعور بالرحمة الذى ولده هذا التقرير فيما سرده من فظائع البلقان المستند على وثائق لا يشك فى صحتها يستحق الذكر وكما قالت جريدة التيمس اذا كانت بلغاريا ما اشتركت فى هذه المظالم وانها وقعت دون رضاها وعلمها يجب عليها اذا ان تجازى الفاعلين حتى تثبت بذلك مدعاها ولكن مما يحزن له اننا لا نرجو انتقام هذه العدالة من دولة مثل بلغاريا واحزابها

(فتاة سلانيك)

ام البلاد اضاعك الاقوام   فبكى مرابع مجدك الاسلام
قدضيعتك بنوك فى اضغانها   بل اسلمتك الى العدى الاوهام

∴

ان البلاد اذا تخاصم اهلها   فالابعدون بها هم الحكام
واذا النفوس تغايرت اهواؤها   لاغرو ان تتغير الاحكام
ذهبت سلانيك الغداة مضاعة   فتنكست لذهابها الاعلام
قد اظلمت ساحاتها وتنكرت   عرصاتها وبكت بها الآكام
ضاقت مرابع انسها من بعدما   رحبت واوحش ثغرها البسام
نبأ تلعثمت الرواة بنقله   وتعثرت بطروسها الاقلام
فقدت به الاتراك باصرة النهى   حزناً وضيعت الهدى الاروام

∴

ابكيك ياشمس البلاد وبدرها   واذا بكيت فما على ملام
تبكيك اقطار العراق ومن بها   والمشعران ومصرها والشام
ام البلاد عليك من متوجع   قطن العراق تحية وسلام
ياملجأ الاحرار جاوزك البلى   خانتك بعد عهودها الايام
لو كان يومك منه فى اقوامنا   خبر لطاشت للعدو سهام

∴

كم روعت فى ساحتيك لدى الوغى   خودوكم لفظ الحياة غلام
عاشا زماناً فى بلهنية الصبا   غربين لم يزعجهما النمام
لم يسمعا غير المدافع ضحوة   فتسارعا فاذا هناك زحام
فاذا البوراج فى الخضم كانها   الاعلام تمخر والدخان قتام
والنار تبعثها المدافع السناً   توحى ولكن وحيهن حمام
تتطاير الارواح من اصواتها   رعباً كما تتطاير الاجسام
علما بان الامر ليس بهين   بل انه امر الم جسام
رجعا وقد اخذ العدو عليهما   سبل الرجوع وليس ثم مقام
فتعانقا من بعد ان علم الفتى   ان ليس يغنى عنهما الاحجام

(اسماء) ها انا ميت فتأملى   هل تذكرينى والعظام رمام
قالت وقد منع البكاء كلامها   ان حل موتك فالحياة حرام
وبكت فبددت الدموع بخدها   درراً لها الحسن البديع نظام

∴

وقفت تودعه وتلثم ثغره   والموت نحوهماله ارزام
فمضى (نجيب) غير موجس خيفة   فى كفه الباس الشديد حسام
متلفتاً ليصيب آخر نظرة   منها فلم تسمح له الاقسام
بل فاجأته من الفضاء رصاصة   لا الخوف يدفعها ولا الاقدام
فهوى يجود بنفسه متعفرا   يعلوه من مر الرياح رغام
فاتته صارخة تشق جيوبها   حسرى تجيش بقلبها الآلام

∴

امجرعى الثكل الممض اناثم   امهل اتاك من الوشاة كلام
فصددت عنى معرضاً متجهماً   لا كان ما همست به اللوام
ان كنت تحسبنى جنيت جناية   فالصفح عند الاكرمين يشام

∴

ظلت تعاتبه ولا من سامع   وتذود دمع العين وهو سجام
حتى اذا علمت بان لا يرتجى   لنجيبها حتى القيام قيام
صكت براحتها منير جبينها   فاسود ذاك البدر وهو تمام
صرخت باعلى صوتها مرعوبة   فالتف نحو صراخها الاقوام
اخذوا الفتاة اسيرة لاميرهم   تدعو الكرام وماهناك كرام

∴

يا هذه كفى الدعاء فقومنا   لو تعلمين عن الدعاء نيام
ماالقوم الا سحب صيف ارعدت   ثم انجلت بالريح وهى جهام
لا تستغيثى ليس (معتصم) بنا   كلا ولا فينا يعد همام
ماتت عواطفنا بموت رجالنا   فجميعنا بمماتها ايتام

∴

يا ايها الشرق الذى قد عمه   للغرب من بعد الشروق ظلام
ما الغرب اول ظالم لك بالذى   يأتيه بل ابناؤك الظلام

قد اهملوك وانت معقل عزهم   فاستهونتك بوطئها الاقدام

∴

يا واطئاً ذاك التراب ترفقا   فلقد شكا من وطئك الاسلام
رفقاً بوطئك انما تحت الثرى   قوم وان هانوا لديك عظام

∴

يا فاتح الملك الكبير بسيفه   قم وانظر الاسلام كيف يضام
غار الصليب على الهلال فاجفلت   تلك الجيوش كأنها انعام
خفر الذمام بنوه بعد عهودهم   من اين للقوم اللئام ذمام
ذهبت مساجدك التى شيدتها   بالسيف وارتفعت بها الاصنام
لو تعلم الاجرام بالفعل الذى   فعل الصليب لخرت الاجرام
لو ان قومى شاهدوا اليوم الذى   كثر الصراخ به وطار الهام
لاروا بنى البلقان كيف ضرابهم   بل كيف يثبت فى الوغى المقدام
قومى اذا اشتد الضراب تخالها   نشوى وما غير الضراب مدام
فالحرب مجلسها وساقيها القنا   والنقع نقل والمدافع جام
لم تخش بادرة الطعان لدى الوغى   بل لا تهاب الموت وهو زؤام
املى بقومى سوف تنهض نهضة   للمجد يقصر دونها الصمصام
يستبعد الرجل الخير وقوعها   بل لا تجيء بمثلها الاحلام
تبقى وان خلق الزمان جديدة   لم ينتقض لجديدها ابرام

الجزيره : السيد خيرى الهنداوى

اخبار الحرب

من اهم الحوادث التى تنزلت كالصواعق على افئدة المسلمين سقوط مدينة ادرنه بعد ان قاومت خمسة اشهر كاملة .

ومما يعتبر مجدا وفخرا للدولة العثمانية والعالم الاسلامى ان بطل ادرنة العظيم شكرى باشا لم يسلم ولكن المدينة فتحها البلغار والصرب عنوة بعد ان استمرت الحرب دائرة الرحى ثلاثة ايام كاملة هلك فيها من البلقانيين عدة آلاف وقد كان سقوطها فى ١٨ ربيع الثانى ولم تسلم حامية ادرنة للعدو كما اسلفنا بل اشتبك المتحاربون اشتباكا مروعا فى الازقة والشوارع حتى كسيت الارض بالدماء وتراكمت فيها الاشلاء .

ولقد أبت شهامة شكرى باشا وغيرته الان يترك ادرنة للعدو هضابا من التراب والانقاض فانه حينما ايقن انها لامحالة ساقطة فى يد العدو اطلق فيها المدمرات حتى جعل عاليها سافلها ولم يبق فيها من المبانى المقدسة اوالمساجد الشريفة شيئا شاخصا .

وكأن دول اوروبا كانت تتباطأ فى مذاكرات الصلح ارتقابا ليوم سقوط ادرنه فانها لم تكد تسقط فى ايدى العدو حتى بادرن الى تقديم مذكرتهن المحتوية على شرائط الصلح الى الباب العالى وكان ذلك فى يوم الاثنين ٢٣ ربيع الثانى

وقد احتوى بلاغ الدول النقط الآتية

(١) ان تحدد حدود المملكة العثمانية فى اوروبا بخط مستقيم يمتد من اينوز الى مديا .

وكل الاراضى الواقعة فى شرق هذا الخط تتنازل عنها الحكومة العثمانية للحكومات البلقانية المتفقة ماعدا البانيا التى مستتولى الدول نفسها رسم حدودها وتعيين طريقة الحكم فيها .

(٢) ان تتولى الدول الكبرى حل مسئلة الجزائر المنتشرة فى بحر سفيد .

(٣) ان تترك الدولة العثمانية جزيرة كريت بتاتا .

(٤) لا ترضى الدول ان توافق على طلب غرامة حربيه و يقبلن اشتراك المتحاربين فى المناقشات التى ستتولاها المجمع الدولى بباريس فى سبيل الوصول الى تعيين ما يخص حكومات البلقان من الديون العثمانيه وكذا فى شان المسائل المالية المتعلقة بالاراضى التى ستضاف الى الحكومات المذكورة .

وفى يوم الثلاثاء من اليوم التالى قدم الباب العالى جوابه للدول قابلا الصلح ومفوضا الامر لتلك الدول الكبرى بلا شرط ولاقيد . ولقد كان هذا الجواب لا تتوقعه لاسيما وان منطقة الحرب قد انحصرت طبيعة فى ضواحى شتالجه حيث الجيوش العثمانية على اتم استعداد واكمل قوة ولكن يظهر ان فى الامر سرا غامضا ستكشفه الايام وقد عرفنا بعض اسباب كانت منشأ التعجل بالاجابة ومصدر قبولنا وساطة الدول بلا شرط ولكن الاحوال الحاضرة لاتبيح لنا ذكر شئ منها .

ولقد كان ينتظر ان دول البلقان المتفقة تقبل الصلح لاسيما وهو فى مصلحتها ولكن يظهر ان بعض الدول الكبرى تشير اليهن من وراء الاستار بالتعنت والاصرار على استمرار الحرب حتى يتم لهن مايطلبن من الغرامة الحربية وحتى تلحق جزائر الارخبيل باليونان .

ويقولون ان روسيا التى هى عدوتنا التاريخية منذ القدم هى عينها المحرضة لهن وانها ترمى الى غاية واحدة وهى ان تستمر الحرب حتى تنهك قوة الدولة العثمانية وبذلك يسهل عليها الاغارة على ارمينيا وبلاد الاكراد والعليمون بما لتلك الدولة فى هذه الاماكن من الدسائس يعرف يقينا ان ذلك هو سر تحريضها المستمر وسر اقدامها برغم حيدتها الظاهرة على تقديم جميع ما اعوز حكومات البلقان من الاسلحة والمال والزاد والرجال .

وموقفنا اليوم بعد ان قبلنا الصلح على تلك الصورة موقف من ينتظر كيف يكون جواب دول البلقان وهل من المستطاع تنازلهن عن فكرة التمسك بالغرامة الحربية واستلحاق اليونان للجزائر

وهل دول اوروبا بعد ان اعلن عدم قبولهن الزام الدولة العثمانية بالغرامة يرجعون ثانية فيعدلن عن قرارهن هذا ويلتمسن محللا يبيح لهن العودة الى النظر فى امر الغرامة الحربية على نحو ما فعلن ايام اعلنت الحرب اذ انذرن دول البلقان ان الحرب لاتغير شيئا من مركز البلقان السياسى ولا ترضى اوروبا ان البلقان يخرج من يد لدولة العثمانية مهما كانت نتيجة الحرب فلما كان ماكان رجعن ثانية فاعلن انه لايجوز حرمان الغالب من ثمرات انتصاراته وبناء على ذلك احتمت جموعهن واتحدت كلمتهن واصررن على البلاغ الذى قدمنه الى الحكومة العثمانية مما اتينا عليه آنفا

وها نحن اولئك اليوم لانعلم ماذا عسى ان يكون ففريق يقول ان الصلح

سيعقد بعد بضعة ايام ثم تأتى التلغرافات باقتراب ساعة الهجوم العام على شتالجه وان الحرب العسكرى فى بلغاريا لا يرضى عن الصلح وانه مصمم على الحرب ولا يعلم الاالله عما ذا تمخض الايام

واذ قضى الامر وخرجت البانيا من ايدينا لانرى من فائدة للعالم الاسلامى فى ذكر ما قام من الخلاف بين النمسا وبين الجبل الاسود فى شأن اشقودره وما قامت به دول اروبا من المظاهرات للنمسا وما سيكون من الخلاف بين اليونان وبين البانيا فى سبيل تعيين الحدود فان ذلك مالايهم العثمانيين ولا المسلمين .

الاصلاح فى الولايات العثمانية

بالرغم مما عليه الدولة العثمانية فى هذه الاوقات من الارتباكات والحروب تولدت فى بيروت حركة يرادمنها مطالبة الدولة بالاصلاح فتألفت فى بيروت لجنة وضعت لائحة سمتها بلائحة الاصلاح البيروتيه وقد كتبنا فى نقدهذه اللائحة خمس مقالات نشرتها جريدة (الحق) التى تصدر فى دار الخلافة .

ومما تجب ملاحظته ان هذه الحركة قدجاءت قبل وقتها كمان اللائحة المقترحة ظهر نقصها وعدم صلاحيتها . على ان الحكومة برغم شواغلها الكبيرة وضعت قانون الولايات ونشرته حديثا فى الصحف وقد جاء هذا القانون وافيا بالغرض الذى تشرئب اليه الامم العثمانيــة الا انه اهمل شيئا ذا بال كان على واضعى القانون الاينسوه . ذلك هو اللغة العربية ويسرنا ان الحكومة اليوم تشتغل بتدارك مافاتها وسنرى بعون الله ماتصدره من القرار الوزارى الذى سيعطى اللغة العربية المنزلة اللائقة بها . وفق الله رجال الدولة الى الاصلاح آمين .

عند مسلم وغيره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة قدمه فتقول قط قط وعزتك وهذا ايضا يرجع الى المحكم قال الله تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم وقد مهدنا ان الصورة المنسوبة الى الله هى ظلة غمام الشريعة وان وجهه منها بارق نور التوحيد ومظهره الاخلاص وعلى هذا فالقدم منها هو نور الايمان ومظهره الصدق وهذا هو القدم الذى تستغيث النار من نوره كما جاء فى حديث ابى سمية قال سأل جابر بن عبدالله عن الورود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لايبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردهم وفى حديث يعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النار لتنادى جزيا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبى اخرجهما ابو عبدالله الترمذى وذكر القرطبى حديث يعلى بن ابى بكر النجار .

تنبيه . مما يحقق لك ان القدم ماذكرناه امران احدهما ان نور الايمان يكفر جميع اسباب الكفر والمعاصى وهى اسباب النار فكما تطفئ اسبابها فى الدنيا فكذلك حقيقته تطفئ حقيقتها فى الآخرة الثانى نسبته الى رب العزة وهو صاحب العزة ومالكها والعزة وان كانت جميعا لله بمقتضى قوله فلله العزة جميعا لكنه قدنسبها لرسوله وللمؤمنين بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فما من مؤمن الا وهو صاحب العزة فاذا وضع قدمه حق للنار ان تضج منه وتنزوى عنه وينطفى نارها بما له من نور العزة

فائدة . فى الشفا للقاضى عياض ان من اسمائه صلى الله عليه وسلم قدم الصدق وهى يقتضى انه الاصل الجامع لكل نور من انوار صفاته واسمائه تعالى

تنبيه . جاء فى حديث ابى هريرة عند مسلم فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فيها فتقول قط قط فهنالك تمتلئ وينزوى بعضها الى بعض فلا يظلم الله من خلقه احدا ومرجع هذا الحديث للحديث الصحيح الذى ذكرناه وقوله فهنالك تمتلئ اى باهلها من المتكبرين وقوله وينزوى بعضها الى بعض فيه حكمتان احداهما انها عندما تضج بسبب نور العزة من اقدام المؤمنين ويخرجون منها تخلو مواضعهم فلو بقيت كذلك لما كانت مملوءة وهو مناف لقوله لاملأن جهنم الآية وايضا فربما

كان ذلك تخفيف على اهلها فاقتضت الحكمة انها حينئذ تنضم وتجمع على اهلها وتمتلئ بهم تحقيقا للوعد وزيادة فى العذاب. الحكمة الثانية . انها لوبقيت مواضع المؤمنين خالية من النار لم يتم لهم سرورهم بالامن منها لعلمهم ان الله عزوجل وعدها انه يملأها فربما توقعوا الاعادة فكان فى انزوائها وانضمامها على اهلها وامتلائها بهم تأمين للمؤمنين وقوله فلا يظلم الله من خلقه احدا اى لايملؤها بغير اهلها تحقيقا لقوله مايبدل القول لدى وماانا بظلام للعبيد يوم يقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد

تبصرة . بهذا القدم تفهم السر فى قوله اذيغشاكم النعاس أمنة منه الى قوله وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام وفى قول الربانيين ربنا اغفرلنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا فتثبيت الاقدام انما يكون باثلاج القلوب بنور التوحيد بدليل قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وذلك ان المثلج للقلوب والمطهر لها هو القرآن بدليل قوله تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى و بشرى للمؤمنين فانظر كيف اضيف الروح للقدس وهو الطهارة وجعلها المثبة بالقرآن لاقدام الذين آمنوا وبشرى لهم اى بقدم الصدق بدليل تصريحه به فى سورة يونس كما قدمنا

تنبيه . بهذا القدم الصدق الذى تستغيث النار منه يفهم السر فى تخصيص ابراهيم ببرد النار وسلامها لاتيانه فى قوله تعالى فاى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الآية وكذلك تفهم السر فى قوله آنس موسى بالنار وقوله اخلع نعليك لانه كان له القدم الصدق الايمانى بمقتضى قوله وانا اول المؤمنين

المتشابه من الآيات التى ذكرت فيها النفس

قدجاء ذكر النفس فى قوله تعالى تعلم مافى نفسى ولا اعلم مافى نفسك والنفس فى اللغة تستعمل لمعان تتعذر فى الظاهر هنا وقد اولها العلماء بتأويلات منها ان النفس عبربها عن الذات والهوية وهذا وان كان سائغا فى اللغة ولكن تعدى الفعل اليها بواسطة فى المفيدة للظرفية محال لان الظرفية تستدعى التركيب الذى يجل عنه الله تبارك و تعالى وقد اولها بعضهم بالغيب اى ولا اعلم مافى غيبك و سرك وهذا وان كان حسنا فى ذاته لقوله فى آخر الآية انك انت علام الغيوب ولكن قانون اللغة يأباه ولابد من تخريجه على مامهدناه حتى تنتظم اشتات الصفات وذلك

ان الصورة اذا كانت ظلة غمام آياته فنفسه هى ام كتابه وهى الآيات المحكمات قال الله تعالى هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب والآيات المحكمات هى الآيات الداله على توحيد وحدانيته بدليل قوله تعالى فى اول هود كتاب احكمت آياته ثم فصلت ثم فسر احكامها بالتوحيد فى قوله الا تعبدوا الاالله وفسر تفصيلها بالاستغفار والتوبة فى قوله وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ونبه على ان آياته المحكمة ترجع اعدادها الى آية واحدة محكمة و هى لااله الاالله فما من علم من العلوم فى الغيب ولافى الشهادة الاوهو منتظم فى سلك التوحيد ومستمد من بحاره ولهذا اكتفى بعلمها للنبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى فاعلم انه لااله الاالله واستغفر لذنبك .

تنبيه . قوله تعالى تعلم مافى نفسى ولااعلم مافى نفسك اذا خرجته على هذا تطلع على اسرار بديعة وذلك ان السياق اشتمل على سؤال عيسى عما بلغه لبنى اسرائيل هل امرهم بتوحيد ربهم اوبان يعبدوا له ولامه ومن المعلوم انه لم يكن امرهم الا بالتوحيد فلما اراد ان يخبر بذلك تلطف فى الاخبار به اجمالا و تفصيلا اما تفصيلا فبقوله ماقلت لهم الا ماامرتنى به الآية واما اجمالا فقوله تعلم مافى نفسى ولااعلم مافى نفسك اى ولا اعلم مافى ام كتابك المشتمل على سر القدر وان القلم جرى فيه بكفرهم وقوله تعلم مافى نفسى اى مافى ام كتابى وهو ما كتبه الله له من بينات التوحيد وايده به من روح القدس قال تعالى وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس .

تنبيه. قوله امرتنى به ولم يقل امرت به مع ان الامر بالتوحيد لم يختص به بل امر به جميع الانبياء ولكنه نبه بذلك على ان الامر امران امر حقيقة وامر شريعة فأمر الحقيقة هو المشار اليه بقوله تعالى انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو متوجه الى جميع الكائنات فما من كفر ولا ايمان الا وهو مأمور به بهذا الاعتبار لانه لايكون الا بامره واما امر الشريعة فهو الذى ربط به الثواب والعقاب وقامت به الحجة لايسئل عما يفعل وهم يسألون فمن هذا تفهم السر فى قوله لعيسى امرتنى به خصصه بالاضافة اليه تنبيها على امر الشريعة ولم يقل امرت تنبيها على امر الحقيقة

تنبيه . لما كان فى هذا اشتباه على المحجوبين من المعتزلة وغيرهم الذين يقولون

ان كفر العبد منسوب الى اختراعه غير مستند الى ارادة ربه و الا ما جازان
يعاقبه عليه لاجرم بين الله جوابهم على لسان نبيه عيسى عليه السلام فى قوله ان
تعذبهم فانهم عبادك علل جواز تعذيبه لهم بانهم عباده تنبيها على ان التعذيب
لايحتاج فى جوازه عقلاً الى معصيه ولاكفر ولهذا لم يقل فانهم عصوك وانما
مجرد كونهم عباداً يجوز للمالك ان يفعل فيهم مايشاء له حق ومهما قال فالحسن الجميل
مناجاة الهى جلت عظمتك ان يعصيك عاص اوينساك ناس ولكن اوجبت روح
اوامرك فى اسرار الكائنات فذكرك الناسى بنسيانه واطاعك العاصى بعصيانه وان من
شئ الا يسبح بحمدك ان عصى داعى ايمانك فقداطاع داعى سلطانك ولكن قامت
عليه حجتك ولله الحجة البالغة لايسئل عما يفعل وهم يسألون

قوله ويحذركم الله نفسه اى ويحذركم ام كتابه بدليل قوله اول الآية يوم
تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وماعملت من سوء الاية مع قوله ووضع الكتاب
فترى المجرمين مشفقين مما فيه مع ماثبت فى صحيح مسلم وغيره من قوله صلى الله عليه
وسلم فوالله الذى لااله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى مايكون بينه
وبينها الاذراع واحد فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان
احدكم ليعمل عمل اهل النار حتى مايكون بينه وبينها الاذراع واحد فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها الحديث فهذا تحذير من ام الكتاب الذى تكون
خاتمة العبد على وفق ماسبق له فيه وبهذا يفهم السر فى ذكر النفس وام الكتاب
متقاربين فى اول السورة ولقد افهم الحديث ان خشية سوء الخاتمة مخصوص باعمال اهل الجنة
واما اهل الاخلاص لاعمال التوحيد فلايخشى عليهم سوء الخاتمة ولهذا قال ليعمل
بعمل اهل الجنة حتى مابقى بينه وبينها افافهم بذلك ان المتقرب متقربان متقرب الى الجنة باعمالها
ومتقرب الى الله بذكره كما ثبت فى الصحيح انا عند ظن عبدى بى وانا معه حين
يذكرنى الى قوله وان تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا وذلك يفهمك ان المتقرب
الى الله لايمكن ان يبقى بينه وبينه ذراع لان ذلك الذراع ان كان التقرب به مطلوبا
من العبد لم يعين بعد مقدار يتقرب الى الله به اليه وحينئذ فيستلزم الخلف فى وعده
وهو محال وان كان موعودا به من الله لزم تجز وعده ويحقق القرب للعبد
فلايبقى بعد ولادخول الى النار فعلم ان ذلك الذراع مخصوص باهل التقرب ممن تقرب
اليه فافهمه فانه بديع

تتمة قوله فى الحديث فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى اذا اردت تخريجه على

ماتقدم فمعناه ان العبد اذا ذكر الله تعالى فى سره فذكره له من آيات توحيد المتشابه
فلا يزال يذكر ويشهد ذكر نفسه حتى ينكشف حجابه كما سيأتى فى حجب الوجه
فهنالك يحترق ذكر العبد المخلوق ويتجلى ذكر الله لعبده سبحانه فيصير
مذكوراً ولله ذاكراً وذلك من ايات التوحيد المحكمة وهى ام الكتاب ولهذا عبر
عنهما بالنفس ونسب اليه سبحانه فى قوله ذكرته فى نفسى قوله وان ذكرنى فى
ملأ ذكرته فى ملأ خير منه هذا من باب الترقى من حال الجمع والفنا الى حال
الفرق والبقا وذلك لان العبد اذا جمعه الله عليه بذكره له فى نفسه وحده افناه
فاذا اراد ان يجعله هاديا بثه لذكر الله فى الملا فذلك ابقاؤه فاذا ذكره واثنى
عليه بألسنة ملائكته واوليائه وارواح انبيائه ورسوله ويشهده ان الله هو الذاكر
له فى مظهر ذكرهم فيتنعم بذلك نعيماً دائما ويحيى حياة طيبة ويكون له به حظ
من المقام المحمود

ومن المتشابه صفة القرب فى قوله تعالى واذا سالك عبادى عنى فانى قريب
وقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ونحن نفهمك ان قوله وان تقرب الى
شبرا تقربت منه ذراعا ليس على ظاهره لان قربه سبحانه وتعالى من العبد لايزال
ولا يتفاوت درجاته وانما البعد صفه العبد وبعده من الله هو حجابه عن شهود
قرب الله منه وشهود قربه على حسب نور الايمان والاستجابة ولهذا يكون تقرب
العبد الى ربه واما تقرب الرب الى العبد فارشاده بنوره لنوره وقد جمع الله ذلك
كله فى قوله فليستجيبوالى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون

تنبيه قوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون يدل على ان قربه سبحانه وتعالى
من عبده قرب حقيقى مع تعاليه عن المكان لانه لوكان القرب يراد به قربه بعلمه اوقدرته
وصفاته لقال ولكن لاتعلمون ونحن نقول ولكن لاتبصرون يدل على القرب الحقيقى المدرك
بالبصر والبصر لاتعلق لادراكه بالصفات المعنوية وانما يتعلق بالحقائق المرئية وكذا
قوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد يدل على ذلك لان افعل من تدل على
الاشتراك فى القرب ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد وعلى هذا
فالقرب قرب حقيقى روحانى بدليل قوله فاما ان كان من المقربين اى من الذين
يكشف لهم عن نعيم القرب الربانى فروح وريحان وجنة نعيم فجعل قربهم وجدانهم
للروح والريحان وقد قرئ بضم الراء وفتحها وقد تقدم فى حقيقة الرؤية مايكشف
عن معنى الادراك للقرب بالبصر

ببصرة حكمة مجئ التفضيل لقربه على حبل الوريد انه تقدم ذكر التوسوس ووسواس النفس من القاء الشيطان ومجراه الاوردة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ومجرى الدم هو عروق الاوردة ونحوها فيه بقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد على انه اقرب اليه من مجرى الوسواس وقد قلت فى ذلك شعرا

تشاغل عنا بوسواسه　　وكان قديما لنا يطلب
مجب تناسى عهودالهوى　　واصبح فى غيرنا يرغب
ونحن نراه ونملى له　　ويحسبنا اننا غيب
ونحن الى العبد من نفسه　　ووسواس شيطانه اقرب

ومن المتشابه لفظة عند وقد جاءت منسوبة الى الله فى الكتاب والسنة كثيرا وهى فى اللغة تستعمل لافادة الملك ولافادة الحضور ولا اشتباه فى استعمالها لله تعالى لافادة الملك وانما الاشتباه فى افادتها للحضور واعلم ان حضرة الله سبحانه ليست حضرة مكانية لتعاليه عن المكان تقدس بل حضرته وراء حضرات السموات والارض قال الله تعالى ولله من فى السموات والارض ومن عنده فعطف من عنده على من فى السموات والارض والعطف يقضى بالمغايرة وهى مع كونها وراء الارض مهيمنة على حضرات السموات والارض ومحيطة بها فما من حضرة مكانية الا وحضرة الله محيطة بها وهو الله فى السموات والارض اذا تقرر ذلك فعنديته سبحانه متعددة بحسب الاضافة متحدة بحسب الحقيقة فاما تعددها فلانه مامن اسم من اسماء الله تعالى الاوله فى تجليه عندية تخصه يشهدها ارباب القلوب الذاكرة له وفيها مجالس المناجاة لهم وتخلع عليهم فيها خلع الرضا منه ومن سلطان ذلك الاسم تخرج الربوبية لاهله وتظهر الولاية بذكره واما اتحادها بحسب الحقيقة فعندالله هو موطن استقرار عباده قال الله تعالى وهو الذى انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ومعنى ذلك ان عندية الله مازالت ولاتزال محيطة بعبده كما قال ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ولكن رب عبد دام له هذا الشهود فهو لا يزال مستقراً عندالله فى محياه ومماته ومبداه وعوده وان اختلف عليه الاحوال ومعنى توفى هذا العبد بالموت الى الله توفيه فى مراتب التجلى وحقائق الكشف وتعاقب مظاهر العندية على روحه مظهرا بعد مظهر ورب عبد يشهد فى البداء عندية الله له ثم حجب عنه مكانه من سبب كثرة تخليطه وظلمة اكتسابه فذلك مستودع استودعه الله

لرسل انبيائه وملائكته الموكلين به فلا يزال محجوبا الى الاجل المقدر له فيرد الى الله كما قال الشاعر

« وما المال والاهلون الاوديعة　　ولابد يوماً ان ترد الودائع »

ويرجع حقيقة الرد الى كشف الحجاب ومحل احاطة الله به كما قال « ونحن اقرب اليه من حبل الوريد الى قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد هنالك يشهد انه لامستقر الا عندالله وقد نظمت فى ذلك » شعراً

قد كنت احسب انى عن فنائكم. ناء وان بارض الله متسعا
فلم يزل لطفكم بى تحت حجبكم. حتى رفعتم حجاب العز فارتفعا
فلاح انى مقيم مابرحت على الانواب عبداً وان اللطف ما انقطعا

اشارة قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده تنبيه على العباد المخصوصين من اهل العندية والاستقرار وقوله ويرسل عليهم حفظة خطاب المحجوبين من المستودعين حفظه ولهذا قال حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ثم حذر المكذب بذلك بقوله وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر ونبه على ان مستقر الانباء عنده وانه يظهر بزوال حجاب البصيرة بقوله تعالى فاذا برق البصر وخسف القمر الى قوله الى ربك يومئذ المستقر ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم وأخر

تنبيه . قوله تعالى ماعندكم ينفد وماعندالله باق له ظاهر وحقيقة فظاهره ان ماعندالعبد من المال والولد وزينة الدنيا بصدد الزوال والنفاد وماعندالله من الجزاء على تقدير انفاقه باق لاينفد واما حقيقته فبكل شئ له نسبتان نسبة عارضة وهى نسبته للعبد ونسبة اصلية وهى نسبته لله تعالى فمعنى كونه عندالعبد هو نسبته اليه وهو فان زائل ومعنى كونه عندالله هو نسبته اليه وهو باق لايزول والمراد ان العبد يخرج الاشياء كلها عنه ويمحو نسبتها اليه بنسبتها الى الله وقد بقيت له ومتى نسبها الى نفسه وقدرته فقدت قال الله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا اونهارا الآية وقال تعالى فى ضده فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولاتخافى ولاتحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فارشدها عندالخوف ان تلقيه من يدها وتخرجه عن حفظها فان الله حينئذ يتولاه بحفظه ويلقيه برحمته

تربية . قوله تعالى فابتغوا عندالله الرزق فيه تلطف بعبده فى استدعائه للاقبال عليه بالاعراض عن سواه لان العبد مجبول على الافتقار للرزق وايثاره بالطلب فلو جعل الرزق لايكتسب الا بالاقبال على الاسباب شغله ذلك عن الله فكان من لطف الله بعبده انه جعل ابتغاء الرزق بالاقبال عليه اقبالاً يشهد به العبد قرب الله منه واحاطته به فيكون العبد بذلك فى حضرته وعنده ومتى بلغ العبد الى هذا جاءه الرزق من حيث لايحتسب الاترى مريم لما تركت الاسباب واقبلت على الله بلزوم المحراب كان زكريا كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عندالله الآية

ومن المتشابه لفظه اين وهى كلمة يستفهم بها عن الخبر المكانى وقد ورد بها الكتاب فى قوله تعالى وهو معكم اين ماكنتم والسنة فى قوله صلى الله عليه وسلم . للجارية اين الله فقالت فى السماء ومن المعلوم ان التحيز على الله تعالى محال واما اين فى الاية فانها اطلقت لافادة معية الله للمخاطبين فى الاين اللازم لهم لانه سبحانه فهو مع كل صاحب اين بلا اين واما اطلاقه فى حديث الجارية فسيأتى الكلام عليه فى فصل الجهة والآخر فى الاستواء حديث كان الله ولم يكن شى غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر معية الله لعبده فى مواضع من الكتاب والسنة وهو من المتشابه ورجوعه الى المحكم بان تعلم ان الله سبحانه وتعالى فى الموجودات قد ضرب لنفسه مثلا بالواحد فى الاعداد ومن المعلوم ان ماعدا الواحد الا وهو فى الحقيقة يرجع الى الواحد فاثنين من شهود الواحد مرة ومرة وهكذا جميع الاعداد فلو طلبت لعدد من الاعداد حقيقة مجردة عن الواحد لم تجده بسبب ذلك كانت الاعداد لاتتناهى لان تجليات الواحد لاتتناهى ولولا معية الواحد للواحد ماثبتت الشفعية ولولا احاطته بالشفعيه ماثبتت الوترية وهو الاول والاخر مايكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم ولاخمسة الاهو سادسهم ولاادنى من ذلك ولا اكثر الاهو معهم اينما كانوا فمن اشهد آخرية معية له فقد شفعه فان اشهد مع ذلك اولية معية فقد اوتره ان الله وتر يحب الوتر ومن اشهده سر وحدانية فى نفسه ورجوع الاعداد اليه فقد وحده ماوحد الواحد الا الواحد وبهذا تفهم السر فى قولهم من عرف نفسه فقد عرف ربه .

تنبيه اعلم انه تعالى كما انه احد فى ذاته فهو واحد فى صفاته وذاته سبحانه منزه عن المعية فليست مع كل شئ ولامعها شى ولكنه مع كل شى بصفاته وكذلك العبد الذى وحده واشهد سر الوحدانية فى ذاته تجلى ذاته المقدسه على سره فقد ظهر لك بهذا ان المعية

من احكام الصفات فرب عبد يشهده الله معية له بصفة وصفتين كقوله اننى معكما اسمع وارى ورب عبد يشهده معيته له مطلقاً كقوله صلى الله عليه وسلم لابى بكر لاتحزن ان الله معنا ومعية الصفات عامة لجميع المخلوقات وانما اختصاص الانبياء والاولياء بالشهود والتأييد بالروح منها كما حكى عن اصحاب الشيخ ابى النجا انه كان يقول قال لى وقلت له و يكثر من ذلك فقيل له من الذى يقول لك و تقول له قال الله قالوا الله يقول لك قال نعم ويأخذ بيدى كلما قمت وقعدت قالوا لك هذا خاصة قال لابل للناس عامة ولكنى اشهد وهم لا يشهدون .

تبصرة رب عبد يختص بشهود المعية ولا يتعدى ذلك منه الى اتباعه كقول موسى عليه السلام لبنى اسرائيل ان معى ربى سيهدين ورب عبد يتعدى منه نوره الى اتباعه فيشهدون به سر المعية كقول النبى صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا ولم يقل معى لانه امد ابابكر بنوره فشهد سر المعية ومن هنا يفهم سر انزال السكينة على ابى بكر .

تربية اذا اردت شهود نور المعية فعليك بتزكية النفس قال الله تعالى قد افلح من زكاها وفى حديث رواه ابو عبدالله الترمذى بسنده الى عبدالله بن معاوية العامرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من فعلهن طعم طعم الايمان من عبد الله وحده بانه لااله الاهو واعطاء زكاة ماله طيبة بها نفسه ولا يعطى الهرمة ولا المريضة ولكن من اواسط اموالكم وزكى نفسه فقال رجل وما تزكية نفسه قال ان يعلم الله معه حيث ماكان فانظر كيف نبه على ان تزكية النفس ثمر العلم بمعية الله فان قلت بما ذا تكون تزكية النفس قلت بلزوم الذكر قال الله تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وفى الحديث انا عند ظن عبدى بى وانا معه حين يذكر نى فعلى حسب الذكر يكون تطهير النفس وتزكيتها .

الآيات التى ذكر فيها لفظ فوق

ومن المتشابه صفة الفوقية وقد جاء بها الكتاب والسنة كقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقوله وهو القاهر فوق عباده وايات واحاديث كثيرة وهو معدود من المتشابه وذلك ان فوق كلمة موضوعة لافادة جهة العلو والله تعالى منزه عن الجهات وانما المراد منها حيث اطلقت على الله سبحانه افادة العلو الرتبى ومما يدل على عدم اختصاصه بجهة فوق قوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض وقوله

وهوالذى فى السماء اله وفى الارض اله وقوله ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله وقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم وآيات كثيرة يطول ذكرها ولوكان فى معنى غير جهة العلو لتعارضت هذه الآيات واختلفت وهو مناف لقوله تعالى ولوكان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفى مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فنفى تقييده بجهة فوق وهو لا ينطق عن الهوى ان هو الاوحى الايوحى والذى يجمع بين الآيات والاحاديث يعلم ان العلو له اعتباران اعتبار اضافى واعتبار حقيقى فعلو المخلوقات بعضها فوق بعض انما هو علو اضافى لان مامن مخلوق له جهة علو الا وهو مستعل بالنسبة الى مخلوق آخر وهذا العلو الاضافى قسمان قسم حسى وهى الجهات المكانية المخصوص بالجواهر المقتضى للحيز وقسم معنوى وهو المفهوم بالنسبة الى درجات الكمال العرفانى لارباب القلوب او الكمال الوهمى لارباب التقوى قال الله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وقال انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا هذا كله فى العلو الاضافى . واما العلو الحقيقى فانما هو لله سبحانه وتعالى وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم وهذا العلو محقق قبل الجهات والاماكن مفهوم بدون اعتبار النسب والاضافات عام فى جميع تجلياته على مخلوقاته باسمائه وصفاته وانما يعرفه ويشهده ارباب البصائر والقلوب

تنبيه اذا اردت ان تحقق ان فوقيته ليست فوقية مكانية وانما هى الفوقية الحقيقية بقهر الربوبية للعبودية ففكر فى حديث كان الله ولا شئ معه. ولم يتجدد بخلقه للسموات علو ولا لخلقه للارض نزول ولا لخلقه للعرش استواء وانما عن تجلى اسمائه وصفاته نشأت اعداد مخلوقاته غير مماسة له ولا منتسبة اليه بفوق ولا تحت ولا شيئ من الجهات قال الله تعالى سبح اسم ربك الاعلا الذى خلق فسوى فوصفه بالاعلى حال اتصافه بالخلق فدل على ان علوه محقق قبل الخلق ولذا قال وما قدروا الله حق قدره الاية وصف نفسه آخر الاية بالعلو والتنزه فى قوله سبحانه وتعالى بعد ذكره قبضة الارض وطيه للسما فدل على ان علوه حقيقى لامكانى وتأمل قوله وهو القاهر فوق عبادة مع قول فرعون عن بنى اسرايل سنقتل ابنائهم ونستحى نسائهم وانا فوقهم قاهرون فهل فهم احد منهم ان فرعون ادعى انه فوق بنى اسرايل بالمكان اوبالجهة وانه لما

ادعى الربوبية بقوله انا ربكم الاعلى كان من لازم دعواه ادعاء الفوقية اللائقة بالربوبية وهى الفوقية الحقيقية بالقهر فلذلك قال انا فوقهم قاهرون لاجرم كذبه الله فى الامرين فكذبه فى قوله انا ربكم الاعلى بقوله لموسى لاتخف انك انت الاعلى وكذبه فى قهره بقوله فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم واضل فرعون قومه وما هدى

تنبيه قوله تعالى رفيع الدرجات يرجع الى العلو والفوقية الحقيقية وليس المراد ان العلو الحقيقى له درجات وتفاوت وانما المراد ان للعباد فى ترقيهم الى معرفته وخلوص التحقيق به درجات الاولى درجة الايمان الثانيه درجة التقوى الثالثه درجة الاتباع الرابعه درجة العلم قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة وقال تعالى وجاعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا وقال تعالى وفوق كل ذى علم عليم

تنبيه قوله تعالى فى بيوت اذن الله ان ترفع الآية قد فسرت بالمساجد وفسرت بالقلوب وكيف ما كان فرفعها تحققها واشتمالها على ماذكرنا فى الدرجات المذكورة وتمام الاية يحققه

تنبيه لما ادعى فرعون الربوبية واعتقد الجهة لله قال ياهامان ابن لى صرحاً لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى فرد الله عليه وسخف سوء رأيه وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل اى عدل عن سبيل القرب والدنو من اله موسى فانه تنزه عن علو المكان وانما يصعد اليه بالكلام الطيب والعمل الصالح يرفعه اين هو من قول موسى وعجلت اليك رب لترضى مع انه لم يبن له صرح ولا احتاج الى الدنو والقرب الى صعود السماء وكذلك ابراهيم حيث جاء ربه بقلب سليم ووهب له لسان صدق عليا فكان مجيئه اليه ووصوله وعلوه بسلامة القلب وصدق اللسان لا بالتسوير والصعود الى المكان وقد ثبت ايواء الله للمؤمنين فى قوله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فاواكم وفى صحيح البخارى عن ابى واقد الليثى ان ثلاثة جاءوا النبى صلى الله عليه وسلم يحدث القوم فوجد احدهم فرجة فجلس فى الحلقة والثانى جلس خلفهم والثالث ادبر ذاهبا فقال عليه السلام اما احدهم فآوى الى الله فآواه الله والآخر استحيا فاستحيا الله منه والآخر اعرض عن الله

فاعرض الله عنه فنبه صلى الله عليه وسلم على ان الداخل آوى الى الله فآواه الله مع العلم بانه ليس الايواء فى الآية والحديث باعتبار مكان . وفى صحيح مسلم وغيره عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم راى نخامة فى القبلة فقال مابال احدكم يقوم فيستقبل ربه فيتنخع امامه ايحب ان يستقبل فيتنخع فى وجهه فدل على انه ليس مخصوصا بجهة فوق والا ماكان قبلة امامه وبالجملة فالاحاديث الدالة على عموم احاطة ربنا بجميع الجهات وعدم اختصاصه كثيرة والقصد قد حصل بما ذكرناه

فصل قصة الاسرى وان كانت مشتملة على الترقى بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السموات فليست منافية لما ذكرناه ولا مستلزمة لاثبات الجهة ويدل عليه امور منها افتتاح السورة بسبحان المقتضى للتنزيه تنبيها على تعاليه عن التحيز بالجهات وعلى عدم اختصاصه بجهة

الثانى قوله اسرى بعبده فاتى بباء الالصاق المفيدة للمصاحبة فى تعدية الفعل تنبيها على مصاحبته له فى حال اسرائه وانه ليس نائيا ولا بعيدا عنه فيحتاج فى قربه الى قطع مسافة مكانية وتحقيقا لقول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم انت الصاحب فى السفر الثالث قوله بعبده تنبيها على انه على حسب التحقيق بخضوع العبودية يكون الترقى الى حضرة الربوبية

الرابع قوله ليلا وان لفظ الاسراء مفيد لذلك تنبيها على ان كل ماتضمنه الاسراء كان خارجا عن العادة فى مثله فانه جعل العلة فيه ان يريه من آياته والارادة العادية سلطانها النهار فقال ليلا ليعلم ان الرؤية المقصودة ليست عادية بل هى رؤية بنور ربانى سلطانه الليل دون النهار

الخامس قوله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى نبه به على ان الاسراء لوكان بضرورة رؤية ربه بكونه مخصوصا بجهة العلو لم تكن حاجة بالذهاب الى المسجد الاقصى ولايكون الترقى من مكة الى السماء فدل على ان الاسراء والترقى من مكان لمكان لحكمة وراء مازعمه مثبت الجهة والسر فيه وفى كونه ذكره الله تعالى فى كتابه التنبيه على ان العبد لا يصل الى الله الا فردا تحقيقا لقوله وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ولا تحقق له الفردية الا بعد مفارقة الحوادث و تجرده منها فهنالك يصل الى حضرة عنديته وقد جاء الكتاب العزيز بالتنبيه على ان حضرة عنديته وراء السموات والارض قال تعالى وله من فى السموات والارض ومن عنده فعطف من عنده على من فى السموات والارض والعطف يقتضى المغايرة فدل على ان حضرة العندية

وراء السموات والارض وهى مع ذلك محيطة بحضرات السموات والارض كاحاطة ربنا بذلك كله مباينة لها كمباينته فمن اراد فعليه بمعرفة الحوادث ومباينته لها. ثم اعلم ان المعرفة نوعان قلبية غيبية وحسية فان فارقها بقلبه وصل الى الله بقلبه وان فارقها بجسمه تبعا لقلبه وصل الى الله بجسمه وقلبه فلذلك كان الاسراء مرتين مرة بالجسد تنبيها على انه صلى الله عليه وسلم شرع لامته فراق الحوادث مرتين مرة بالروح وهو الاسراء الاول ومرة بالجسد حسا وهو الاسراء الثانى ومن المعلوم انه لا تحقق لفرقة الحوادث حسا الا بمجاوزة دوائر الافلاك كما ثبت ليلة الاسراء واما ترتيب تعليه وترقيه فى توجهه ففيه اسرار بديعة اظهرها واجلاها ان فرض الصلاة كان ليلة الاسراء والصلاة حضرة القرب والمناجاة والمراقبة المثمرة لنعيم الرؤية ومن المعلوم ان التوجه توجهان روحانى وحسى فقبلة التوجه الروحانى وجه الله ولا اختصاص له بمكان واما التوجه الحسى فله قبلتان بيت المقدس والكعبة فبيت المقدس هو قبلة الانبياء والكعبة هى قبلة ابراهيم فجاء الاسراء الروحانى اولا تأسيسا للشرعة فى قوله تعالى ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله وجاء الاسراء الحسى منه للتوجه ال بيت المقدس ثم الى السماء ثم بالرجوع الى الكعبة تأسيسا للشريعة فى التوجه الحسى فى الصلاة اولا لبيت القدس ثم الى السماء فى قوله قد نرى تقلب وجهك فى السماء ثم بالرجوع الى قبله مكة فى قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام

اشارة لما كان توجه ليلة الاسراء الى مكة بعد خروجه من حضرة القرب فى التلقى الى حضرة القرب فى التبليغ جاء التشريع فى التوجه الى الكعبة على وفق المناسبة فقال فيه ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ومن هذا يفهم السر فى قوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك الى قوله وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق وهذا المخرج للدعوى والتبليغ هو المخرج الذى ورثه عنه امته فى قوله كنتم خير امة اخرجت للناس الآية

تنبيه قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى اياك ان تفهم ان ذلك مشعر بتحديد فى القرب او تخصيص فى جهة وانما هو دنو تجل وكشف لانه ذكره فى قصة الاسراء بالروح الاترى قوله تعالى بعده ماكذب الفؤاد ماراى ثم ذكر بعده الاسراء الحسى ولقد رآه نزلة أخرى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فاذا علم انه دنو تجل روحانى وكشف عرفانى فهمت سر قوله وهو بالافق الاعلى من قوله سنريهم آياتنا فى الآفاق فكان افقه فى الرؤية وبيان الحق هو الافق الاعلى

ثم دنى عن الافق الاعلى فى نعيم الرؤية وفى بيان الحق فكان قاب قوسين اى قدر قوسين والقوس فى اللغة يستعمل للذراع وما يقدر ويقاس به وهو المراد هنا وهو فى قوله فى الصحيح انا عند ظن عبدى بى وانا معه حين يذكرنى الحديث وفيه فان تقرب الى شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا وليس المراد فيه ذراع حسى محدود وانما المراد تمثيل التقريب لدنو الذاكر من المذكور فى مجالس النجوى والذكر والتجلى سر المعية للقلب واوفى الرتب فى ذلك تحقق القلب لسر سبحان الله والحمد لله وكذلك كان صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء واذا اردت التحقق لذلك فخذه من افتتاح سورة الاسراء بسبحان الله واختتامها بقوله وقل الحمد لله ثم نبه على انتفاء التقدير فى دنوه بقوله او ادنى وهو التحقق بالتوحيد فى نعيم الرؤية للآية الكبرى وهى لا اله الا الله ولذلك وصفه بقوله فى آخر السورة وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له الى قوله وكبره تكبيرا تحقيقا لقوله وما بينهم وبين النظر الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن كما قدمنا .

ايضاح اذا اردت ان تفهم سر التدلى فى قوله فتدلى فتأمل مارواه ابو عيسى الترمذى من حديث العنان وفيه ذكر الارضين السبع وان بين كل ارض كما بين السماء والارض ثم قال عليه السلام والذى نفسى بيده لو دلى احدكم بحبل لوقع على الله فنبه صلى الله عليه وسلم على عدم تحيزه فى السماء وانه ليس مختصا بجهة ثانيه على ذلك قوله تعالى ثم دنا فتدلى فان الاسراء كان للعلو فى المنزلة وربما توهم المحجوبون ان الدنو فى قوله دنا زيادة للعلو فنبه بقوله فتدلى على ان قربه قاب قوسين كان ثمرة التدلى المثمرة بالتنزيل وانه تعالى لا يختص قربه بجهة العلو بل التدلى اليه بالخضوع اقرب تحقيقا لقوله واسجد واقترب وفى الصحيح اقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد

تبصرة قوله لو دلى احدكم بحبل لوقع على الله مؤول باحاطته سبحانه بكل شى وقد اولها المتصوفة بتأويلين احدها ان المراد بالحبل حبل الوريد وهو الحديث النفسى والنور العقلى فلو دلى المتفكر حبلا بشعاع عقله الى منتهى المخلوقات السفلية لوقع فى كل حضرة من حضرات مدركاته على الله لانه اقرب اليه من كل شئ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد .

الثانى ان المراد بالحبل حبل الله المتين و كتابه المبين فمن تمسك به شهد سر تنزله على

اراضى القلوب ووقوع حبل اشعته على الله فيها لان القلب بيت الرب فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون الى قوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون

تبصرة اذا اردت زيادة التبصر بان الاسراء وعروج الملائكة ورفع عيسى لا يدل على ان الله مخصوص بجهة السماء فاعتبر فرض الحج على العباد الى البيت الحرام وامر الله للناس بالتوجه من جميع الجهات وجعل سكانه جيران الله وحجاجه ووفده وضيفانه مع ان نسبة البيت وغيره الى الله سبحانه باعتبار المسافة نسبة واحدة فعلم ان القصد بالسير الى البيت ليس مقصودا لان السير يقتضى القرب والوصول اليه بالمكان وانما لله تعبدات واسرار فى ضمن مشروعات يقتضيها من من عباده لحكمة ظاهرة وخفية الا تراه كيف ناجى موسى بالواد المقدس واسمعه كلامه من الشجرة ووصفه بالقرب الى مجلس حضرته ونجواه مع الاتفاق على انه تعالى لا يختص بالواد المقدس ولا يحل كلامه وهو صفته بالشجرة وان موسى قرب اليه مع كونه بالارض وسمع نداءه من جانب الطور ولم يكن ربه بجانب الطور وانما لتجلياته مظاهر وحجب روحيه وجسميه لا يشهدها الا من فتق الله رتق قلبه وفلق اصباح ليله ونور مصباح مشكاته بزيت شجرة توحيده ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور

تشكيك قد يرد على ذلك نحو قوله ءامنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض وقوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه وامثال ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم للجارية اين الله فقالت فى السماء قال اعتقها فانها مؤمنه والجواب انا قد قررنا ان تجلياته تعالى باسمائه وصفاته محيطة بدوائر السموات والارض وان لها فى تصرفها وسائط سفلية منسوبة للعباد ووسائط علوية منسوبة له فاطلق على نفسه انه فى السماء باعتبار الوسائط ومظاهر تجلياته العلوية وانه فى الارض باعتبار المظاهر والوسائط السفلية وهو الله فى السماء اله وفى الارض اله وقال لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاذا كان المقصود بالسياق تحذير اهل الارض وتفخيم الارجاء بالتعبير من السماء فان مظاهر السماوية هى القائمة بالتصرفات الغيبية المنسوبة اليه كما قررناه واما تنزل التدبير وعروجه فهو عروج روحانى وسر رحمانى وكشف عرفانى وسيأتى له مزيد بيان بعد ذكر مسألة الاستواء . واما تقرير الجارية على ان الله فى السماء ووصفها بانها مؤمنه فالحق ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعتمد فى ايمانها

وتقريرها ظاهر لفظها فان لفظها ليس مفيد التوحيد الله لا على مذهب القائلين بالجهة ولا على غيرهم اما عند من لايثبت الجهة فواضح واما عند مثبت الجهة فلانهم يوافقون على انه قد عبدت الملائكة والشمس والكواكب وهى فى السماء وليس فى لفظها ما يخرج هؤلاء عن الالهية ولا مايقتضى وصفها بالايمان واقرب احتمال فى ذلك ان الجارية اشرق لبصيرتها نور التوحيد فى آفاق السموات تحقيقا لقوله سنريهم آياتنا فى الآفاق الآية فلما قال لها اين الله فقالت فى السماء اى ظهور نور توحيده فى السماء قال اعتقها فانها مؤمنة وتحقيق ذلك كونه لم يقل فانها مسلمة فدل على ان اعتماد النبى صلى الله عليه وسلم فى تقريرها كان على امر شهده منها يرجع الى قلبها لا الى لفظها مع احتمال لفظهاله فلذلك اقرها عليه .

الاستواء

ومن الآيات المتشابهات آيات الاستواء والاحاديث الواردة فيه ومرجعها عند المحققين الى الآيات المحكمات واول ما ينبغى تقديمه معنى الاستواء لغة واصله افتعال من السواء والسواء فى اللغة العدل والوسط وله وجوه فى الاستعمال ترجع الى ذلك منها استوى بمعنى اقبل نقله الهروى عن الفراء قال العرب يقولون استوى الى يخاصمنى اى اقبل على الثانى بمعنى قصد قاله الهروى الثالث بمعنى استولى . الرابع بمعنى اعتدل الخامس بمعنى استقام السادس بمعنى علا قال الشاعر .

ولما علونا واستوينا عليهم   تركناهم صرعى لنسر وكاسر

قاله الحسن بن سهل اذا علم اصل الوضع وتصاريف الاستعمال فنزل على ذلك الاستواء المنسوب الى ربنا سبحانه وتعالى وقد فسره الهروى بالقصد وفسره ابن عرفة بالاقبال كما نقل عن الفراء وفسره بعضهم بالاستيلاء وانكره ابن الاعرابى وقال العرب لايقولون استولى الا لمن له مضاد وفيما قاله نظر لان الاستيلاء من الولى وهو القرب او من الولاية وكلاهما لايقتضى اطلاقه لمضاد و نقل الحسن بن سهل عن ابن عباس انه فسر قوله ثم استوى الى السماء فقال علا امره وهذه التفاسير كلها محتملة وهى على وفق اللغة واما استوى بمعنى استقر ومنه قوله تعالى واستوت على الجودى وقوله لتستووا على ظهوره الآية فلايليق نسبة مثله الى استواء ربنا تعالى على العرش مع اننا نقول قد علمت اصل اشتقاق الاستواء ولامدخل فيه لمعنى الاستقرار وانما الحق ان معنى استوى على الدابة جاء على الاصل ويكون معناه اعتدل وعلا عليها و الاستقرار من لازم ذلك بحسب خصوصية المحل

وحينئذ فلا يصح نسبة مثله اليه تعالى لاستحالته فى حقه وعدم وضع اللفظله وقد ثبت عن الامام مالك انه سئل عن الاستواء قال كيف غير معقول والاستواء غير مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة فقوله كيف غير معقول اى كيف من صفات الحوادث وكل ماكان من صفات الحوادث فاثباته فى صفاته تعالى ينافى مايقتضيه العقل فيجزم بنفيه عن الله تعالى وقوله والاستواء غير مجهول اى انه معلوم المعنى عند اهل اللغة والايمان به واجب على الوجه اللائق به تعالى لانه من الايمان به وبكتبه والسؤال عنه بدعة اى حادث لان الصحابة كانوا عالمين بمعناه اللائق بحسب اللغة فلم يحتاجوا للسؤال عنه فلما جاء من لم يحفظ اوضاع لغتهم ولاله نور كنورهم يهديه لنور صفات ربه شرع يسال عن ذلك فكان سؤاله سببا لاشتباهه على الناس وزيغهم عن المراد ووجب على العلماء حينئذ الايهملوا البيان قال الله تعالى واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ولابد فى ايضاح البيان من زيادة فنقول قد قررنا استوى افتعل من السواء واصله العدل وحقيقته الاستواء المنسوب الى ربنا تعالى فى كتابه بمعنى اعتدل اى اقام العدل واصله من قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط والعدل هو استواؤه ويرجع معناه الى انه اعطى بعزته كل شئ خلقه موزونا بحكمته للتعرف الى خلقه بوحدانيته ولذلك قرنه بقوله لا اله الا هو العزيز الحكيم والاستواء المذكور فى كتابه استواءان استواء سماوى واستواء عرشى فالاول يعدى بالى قال تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وقوله ثم استوى الى السماء وهى دخان ومعناه والله اعلم اعتدل اى قام بقسطه وتسويته الى السماء فسواهن سبع سموات ونبه على ان استواءه هذا هو قيامه بميزان الحكمة وتسويته بقوله اولا عن الارض وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين وبقوله آخرا ذلك تقدير العزيز العليم واما الاستواء العرشى فهوانه تعالى قام بالقسط معترفا بوحدانيته فى عالمين عالم الخلق وعالم الامر وهو عالم التدبير الا له الخلق والامر فكان استواؤه للتدبير بعد انتهاء عالم الخلق لقوله الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر مامن شفيع الا من بعد اذنه وبهذا تم سر تعدية الاستواء العرشى بعلى لان التدبير للامر لابد فيه من استعلاء واستيلاء .

اعتبار. اعتبر بعد فهم هذا قوله تعالى فى خطابه لنبيه يايها الانسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك واعتبر بما اثرته هذه الآية من التسوية والتعديل بقوله عنه ليله الاسراء ذومرة فاستوى وهو بالافق الاعلى مع قوله صلى الله عليه وسلم بلغت الى مستوى اسمع فيه صريف الاقلام ومن المعلوم ان القلم انما يجرى بالقدر كما ثبت فى حديث عبادة ابن الصامت ان اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال وما اكتب قال اكتب القدر ثم ما كان وماهو كائن الى الابد وبهذا الاعتبار تعلم ان الاستواء عبارة عما قررناه لك من قيامه بالقسط وتقدير المقادير فى عالم خلقه وعالم امره .

النزول الى سماء الدنيا

ومن الاحاديث المتشابهة احاديث نزوله سبحانه كل ليلة الى سماء الدنيا وهو لاينافى ماذكرناه ولا يستلزم اثبات الجهة ولا اتصافه تعالى بالحركة والنقلة فان ذلك محال كما ثبت فى كتب الكلام ومقصدنا الآن ان نخرج صفة النزول على ما يوافق القواعد التى مهدناها فى صفاته سبحانه وقد اول بعضهم نزوله بنزول علمه وقدرته ونحوه وهو غير متجه فان علمه وقدرته وصفاته ان اريد بنزولها نفسها فهو محال لان الصفة قائمة بالموصوف فاذا لم يجز لموصوفها النزول فصفته اولى واحرى وان اريد بنزولها تعلقها بما فى سماء الدنيا فتعلق علمه وقدرته بالموجودات كلها لم يزل ولا يزال فكيف يخصص بجزء من الليل اوغيره. هذا مع القطع بانه سبحانه وتعالى يمسك السموات والارض ان تزولا فمن قبضته لا تزال محيطة بالسموات كلها والارضين كلها كيف يحتاج الى النزول اليها او يختص تعلق قدرته وعلمه بها بزمان دون غيره وانما الجارى على القواعد والآيات المحكمة قدنبه الله فى كتابه بتمثيلين مثل منك ومثل خارج عنك الاول قوله تعالى الله نور السموات والارض الآية ومن المعلوم ان النور اذا اجمل محيطا بدوائر شفافة بعضها محيط ببعض فاول ما يظهر اثره فى ادناها اليه واوسعها دائرة فيراه اهلها ثم ينفذ شعاعه الى الثانيه ويظهر فيه على حسب صفاه ثم هكذا الى ثالثه ورابعه و... وكل فى كان من دائرة منها يرى النور قد نزل الى دائرته وهو نزول ظهور وتجل لا نزول حركة ونقلة فعلى مثل هذا خرج صفة نزوله سبحانه مع تنزيهه عن تفاوت نسب دوائر الافلاك اليه وعن بعده عن بعض وقربه من بعض

بل هو اقرب الى كل شئ من نفسه ولا بدلك حينئذ من مراجعه ماتقدم فى الاستواء على العرش فتعلم ان صفة النزول من لوازم صفة الاستواء وقد تقدم ان صفة الاستواء هو قيامه فى عالم الامر بسر التدبير فنزوله حينئذ هو نزول روح الامر بسر التدبير من حضرة الاستواء وهو العرش الى سائر دوائر الكائنات لحكمة التعرف قال الله تعالى ثم استوى على العرش. يدبر الامر وقال الله تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن ثم بين ان ذلك التنزل لحكمة التعرف بقوله لتعلموا ان الله على كل شى قدير وان الله قداحاط بكل شى علما .

تنبيه انما نسب النزول اليه سبحانه لان روح الامر هو مظهر نور التوحيد قال تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لااله الا انا فاتقون وقد بينا ان نور توحيده هو وجهه سبحانه فلهذا جعل نزول روح امره بمثابة نزوله ومعرفتها بمثابة معرفته لان من عرف نفسه عرف ربه

تبصرة اذا علمت معنى نزوله فى العالم الاكبر فاعتبر بذلك استواءه ونزوله فى العالم الانسانى وهو العالم الاصغر كما سيأتى بيانه المثل الثانى قوله تعالى تبارك الذى بيده الملك الى قوله حسير فلا تعتقد ان المراد ان ترجع بصرك فى طباق السموات فان الله يعلم انك لايدرك بصرك ذلك لضعفه وشدة البعد وتأمل قوله تعالى ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت اى ان الرحمن خلقك وخلق السموات قال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الآية فكما خلق السموات خلق فيك امثلة لها لاتفاوت بين تلك الامثلة وبينها فارجع بصرك فى تلك الامثلة تعلم انه سبحانه ضرب قلبك لنفسه مثلا وذلك ان قلبك هو صاحب دوائر اطوارك وله فى استوئه عالمان عالم خلق وهو عالم حسك وعالم حق وهو عالم غيبك فاذا اراد تدبير عالم الحس تنزل بروح امره وهو نور البصر ومن المعلوم عند علماء التشريح ان للروح الباصر سبع طباق يتنزل منها الى ان يصل الى عالم الحس وانت اذا اعتبرت ذلك حكمت بسببه ان نزوله سبحانه منزه عن النقلة والحركة الاترى ان القلب يدرك بالبصر ويدرك به البصر الشئ البعيد حسا فى آن واحد من غير تنقل ولاخطور فى طباقه ينفذ من بعضها لبعض بلاتراخ ولامهلة فى تنزله ورجوعه اليه ولاتفاوت فى نسبته اليها وقدقال المحققون من اهل النظر ان العين مرآة القلب اى من نظر الى عين رجل رأى

منها حقيقة قلبه ولتحقق الباصر بالقلب اشتبه على كثير من العقلاء فاعتقدوا ان البصر ليس حسا منايرا للقلب وكذا باقى الحواس بل هى بمثابة الشبابيك والقلب هو المدرك منها لما فى عالم الحس وهذا كله يكشف لك سر نسبة النزول الى ربنا سبحانه بنزول روح امره وكونه من اكبر آيات توحيده

تذكرة فى الحديث مامن مسلم يسلم على الارد الله على روحى لارد عليه سلامه وقد نبهت على الاشكال المتعلق بهذا وعلى جوابه فى كتاب الامالى والقصد بذكره هاهنا مناسبته لما نحن فيه فان للعبد مع الله حالين حالا يجمع روحه عليه تحقيقا لتوحيده وتكميلا لشهوده وحالا يرد روحه اليه هداية لخلقه وتوفية لحقه وهذا الجمع والرد من الاسرار الالهية نبه به النبى صلى الله عليه وسلم على ان حالته فى مماته كحالته فى حياته لايزال بروحه عند الله واذا سلم عليه مسلم اوجاءه زائر رد الله اليه روحه كما كان يردها فى حياته وفيما ذكرناه من الروح الباصر كشف لحقيقة ذلك فانه مامن نفس الاويجمع فيها الروح الباصر الى القلب مؤديا اليه مايراه فى عالم الحس ثم يرد الى العين من غير شعور بنقلة ولا كيفية ولازمان فلو حلف حالف ان روحه الباصر مازايل قلبه لم يحنث ولوحلف حالف انه مازايل عينه لم يحنث كذلك ولايلزم من رد روحه اليه لرد سلام المسلم عليه ان لاتكون باقية عند ربها ولايلزم من بقاءها عنده الاتكون مردودة الى نبيه والله اعلم

تبصرة اذا سمعت بنزول ربنا كل ليلة الحديث فلا تفهم منه النزول الى عالم الحس واعتبر بذلك نزوله سبحانه بروح ذكره الى سماء قلبك الاتراه كيف نبهك على هذا بقوله فاتقوا الله يا اولى الالباب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا الآية ثم قال بعده الله الذى خلق سبع سموات الآية فبدأ بآية نزول ذكره قبل آية نزول امره تنبيها على الاهتمام بالاولى وقال فى الاول ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور وقال فى الثانى لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وذلك يقتضى ان نزوله بروح الذكر يثمر النور والهداية وان الله يتولى اخراج العبد من الظلمة ولايكله الى نفسه وان نزوله بروح الامر يثمر الدلالة والتكليف بالعلم

تنبيه اختصاص نزوله بالثلث الاخير من الليل له تأويلان الاول لان الليل محل النوم وتوفى الانفس ورقيها الى الله وقد ذكر ارباب العلم الطبيى ان النوم المعتبر فى صلاح البدن ثمان ساعات وهى ثلثا الليل فاقتضت حكمة الربوبية تخصيص النزول

بالثلث الاخير رحمة للعباد وتلطفا بهم حتى يكونوا قد تيقظوا وتأهبوا القبول مايتنزل على قلوبهم من بركات نزوله سبحانه. التأويل الثانى ذهب اليه علماء الباطن فقالوا ان الحجاب هو ليل القلوب وهو ناشئ من نوم القلب وفى الحديث يعقد الشيطان على قافية رأس احدكم اذا نام ثلاث عقد فاذا قام فذكر الله انحلت عقدتان فاذا صلى انحلت ثلاث عقد فالانسان اذا نام قلبه عقد الشيطان فاذا استيقظ فذهب فذكر الله انحلت عقدة فذهب ثلث ليله فاذا توضأ انحلت عقدتان فذهب ثلثا ليله و وضوءه استغفاره قال الله تعالى فى قصة نوح فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا فاذا صلى فصلاته فى ثلث ليل الحجاب الآخر وهى العقدة الثالثة وهناك يكون نزول روح الذكر عليه فتحل عقده كلها ويكشف له عن حقيقة ان الصلاة صلة بين العبد وبين ربه وعلامة ليل الوصلة كشف الحجاب والتلذذ بروح الخطاب

صفة المجئ

ومن المتشابه صفة مجيئه سبحانه وتعالى واتيانه فى نحو قوله تعالى هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة اويأتى ربك . وجاء ربك والملائكة صفا صفا وهو ايضا يرجع الى معنى المحكم ولاينافيه لان من المحكم قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا فاذا رددت اليه قوله وجاء ربك والملائكة صفا صفا علمت انه يتجلى بوحدانيته فى الروح وان المجئ للروح ونسب اليه كما نسب نزول الروح اليه لتجليه فيه وتحققه ان الروح من عالم الامر وقد قال تعالى هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة اويأتى ربك وقد تقدم ذكر آياته فى ظلل من الغمام فلاحاجة لاعادته

تحقيق اذا اعلم ان الروح فى قوله يوم يقوم الروح هو روح القدس المحمدى الجامع لحقائق الصفات فى عالم الامر استواء ونزولا ومجيئا واتيانا وهو صاحب التجلى بنور التوحيد فى مظاهر السموات والارض و فى ظلل اغمام الشرائع وصور الاعمال كما تقدم وهو صاحب تنبيه الرحم الايمانية والنسب المحمدى بدليل قوله صلى الله عليه وسلم كل نسب منقطع يوم القيامة الا نسبى وبدليل قول الله له يوم القيامة من وصلك وصلته ومن قطعك بتته

تنبيه هذه هى الرحم التى اشتق لها اسم من اسمه الرحمن صاحب الاسماء الحسنى فى قوله تعالى قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن اياما تدعو فله الاسماء الحسنى واليها مرجعه

واشتقاقه منها على حسب صلته للرحم الايمانية المحمدية وعلامة صلته لها صدق مودته لاخوانه المؤمنين وقوة الفه بهم والجماعة عليهم وعلامة قطعه لها مفارقته لهم واليه الاشارة بقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا مع قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ فانظر بسبب التفرق كيف قطع نسبه المحمدى بقوله لست منهم فى شئ ونبه على انهم قد قطعوا عن الله بقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ فتحقق بذلك قوله من قطعك بتته

اشارة وصلة الروح للروح المحمديه والرحم الايمانية وسجودها على حسب مافطرت فى اصل منشأها واستمدادها من نور التوحيد فمن قام بحق التوحيد فهو احق بها وهو صاحب نسب والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها

صفة الحب

ومن الصفات المتشابهة صفة الحب وقد نسب فى الكتاب الى الله تعالى بقوله يحبهم ويحبونه وبقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وكذلك فى السنة فى احاديث وقد اختلف علماء الظاهر والباطن فى تأويله والمعول عليه عندهم انه يرجع الى التعبير بالشئ عن ثمراته فحب العبد لله محبة ادامته لذكره واقامته لطاعته وحب الله للعبد اقباله بوجه احسانه ورحمته اليه وافاضة سوابغ نعمه وجوده عليه وهذا فيه تعطيل لحقيقة الوصف والذى حملهم على ذلك ان الحب فى الشاهد عبارة عن ميل القلب وهو مستحيل على الله لتعاليه عن الحوادث والتحقيق ان الحب يرجع حقيقته مطلقا الى سر روحانى يجمع الله به المتفرق ويوجد المتعدد وذلك ان الله نور السموات والارض فما من شئ من الكائنات الا وفيه سر من الواحد قائم به كما تقدم تحقيق ذلك . ومن المعلوم ان المخلوقات مختلفة من حيث الاسماء والصور ومراد الله منها ائتلافها فى الرجوع الى واحد واليه يرجع الامر كله وانما تأتلف الصور والاسماء المختلفة من حيث ذلك السر القائم بها من تجلى الواحد وليست كلها متساوية بل هى متفاوتة على حسب قابليتها لتجليه وقد جعل الله الحب سرا يكشف حجاب الاختلاف بالصورة والاسم عما قام بهما من السر المتفق فيأتلف السر مع السر بواسطة التعارف وفى الحديث الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فان حصل الكشف من الجانبين حصل التحاب من الجانبين يحبهم ويحبونه وان حصل من احد الجانبين اختص بالمحبة ولهذا تجد بعض الناس يحب من لا يظهر عليه انه يحبه لان المحب كشف له عن

سر التوحيد المناسب له القائم بمحبوبه فالفه ولم يكشف لمحبوبه عن السر القائم بمحبه وجملة الامر ان لا محبوب فى الوجود الا الله ولقد احسن بعضهم فى التنبيه على ذلك اجمالا فقال فى محبوبه

شئ به يسبي القلوب سوى الذى   يدعى الجمال ولست اعلم ماهو

وقال بعضهم

البلبل ياصاح يشدو بغصن   والورق تنوح يا ترى العشق لمن
والكون جميعه غرام وشجا   شابا شك يا من الكل فتن

فقد ظهر لك ان الحب سر يكشف حجاب الحوادث عن اسرار التوحيد فيجتمع متفرقها ويتحد متعددها ومن توهم انه الميل والارادة او بعض الآثار الحادثة التى يجدها المحب فليس على حقيقة من امره وانما التبس عليه الاعراض المتعلقة عن الحب بالحب واعلم انه لا يطلق على العبد انه يحب الله الا اذا كشف له سر التوحيد مجردا من الحوادث فاحبه واما اذا احب السر متوهما انه احب مظهره من الحوادث فلا وبهذا حصل الالتباس فى حقيقة الحب فى اطلاقه على غير الله وفى صحة اطلاقه على الله

تنبيه قولنا لا يصدق حب الله الا بالكشف عن سر التوحيد مجردا عن الحوادث مجمل له تفصيل وهو ان كشف تجريده تارة يكون عيانا وتارة يكون ايمانا فالعيان كما لابراهيم صلى الله عليه وسلم حيث توجه اليه فى الكواكب ثم فى القمر ثم فى الشمس ثم توجه اليه مجردا فقال وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض الآية ونبه على تجريد حبه عن الحوادث بقوله لا احب الآفلين والايمان بحال من اخبره الصادق ان السر فى هذا المظهر فنشأ له بنور التصديق الايمانى حيث كشف له عن ذلك السر كشفا ايمانيا ومنه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فنبه على ان سر التوحيد المأذون فى محبته له مظهر وهو ظلة غمام شريعته واتباعه فيها يستلزم اتصافهم بها وهو بمثابة تعرض المحب للمواطن التى يظهر له فيها محبوبه ومن شأن التعرض لمواطن الحبيب ان يراقب وجه محبوبه عند تجليه فيها فلهذا امر العبد بالمراقبة فى قوله صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك

تبصرة . ومن هذا قوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ونحوه من الآيات يتضمن الاخبار للعباد ان سر التوحيد الجامع مظهره محمد صلى الله عليه وسلم فمن احبه فقد احب الله فمن الاتباع من كشف له تجرد

ذلك السرعيانا كحال ابى بكرفى قوله بعد موته من كان يعبد محمدا فان محمدا قدمات ومن كان يعبدالله فانالله حى لايموت ومن الاتباع من حجب عن تجرده حتى اخبره فى قوله ولوانهم اذظلموا انفسهم جاءوك الى قوله لوجدوا الله توابا رحيا

تحقيق قوله لايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته الحديث فيه اسرار منها التنبيه على ان الحب سر تجميع المتفرق وتوحد المتعدد كما ذكرناه من كلام المحققين الحبيب انت الا انك غيره ومنها التنبيه على ان العبد تارة يكون محبا متقربا وتارة يكون محبوبا وترجع حقيقة التقسيم الى شهود العبد وحظه من تجلى قوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فان شهدمامنه الى الله فتشهد رجوع الامر بسر التوحيد منه الى الله فهو محب وعلامته دوام ذكره وتوجهه بالقرب والنوافل وغلبة الشوق وان شهد مامن الله اليه فقد شهدبدء الامر من الله وتنزله بروح التوحيد اليه فهو محبوب وعلامته السكون ودوام المراقبة ومنها التنبيه على ان المحبوب قسمان قسم يفنى بمحبوبه وقسم يبقى به فنبه على حال الاول بقوله كنت سمعه و نبه على حال الثانى بقوله الذى يسمع به ونبه بهما على انه لابقاء الابعد فناء ومنه قوله تعالى ومارميت اذرميت فنبه على الفناء بقوله وما رميت وعلى البقاء بقوله اذرميت وعلى تحقق المحب بالحبيب بقوله ولكن الله رمى

دقيقة ومن ذلك قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا الى قوله انه هو السميع البصير الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم والسميع البصير هو الحبيب

الرضا والغضب

ومن المتشابه صفة الضحك والرضى والغضب وقدورد الرضا فى السنة فى احاديث وقداختلف اهل الحقائق فى معنى الرضا فى الشاهد وهل هو حال اومقام واياما كان فهو من مقولة الكيف الحادث وهو مستحيل على الله والضحك فى الشاهد معروف وامتناعه على الله بالنسبة لذاته ضرورى فلذلك كان من المتشابه ورجوعه الى المحكم بما قدمناه فى الصورة فيكون ظهور الضحك فى الصورة التى تجلى فيها ربنا على عبده ولا اشتباه فى ذلك فان اصل الضحك عند الحكماء نشأ من اقبال القلب الى وجهة الصدر فينفعل لاقباله البدن بالكيفية التى تسمى ضحكا المناسبة للضحك المعتاد باقبال القلب ونسبة الضحك اليه كنسبة الصورة والوجه اليه بالمعنى الذى قدمناه و يتضاعف بذلك نعيم الرؤية للمؤمن و افاضة جوائز الكرم عليه وقد ثبت انه يلقى المؤمن اذامات بروح

وريحان ورب غير غضبان فانظر كيف جعل مظهر لقائه له الروح وفى الروح يظهر لذلك العبد رضاه وضحكه وعدم غضبه وحقق بقوله ورب غير غضبان ان الروح مظهر الربوبية وان العبد بلقائه الروح يلاقى ربه ولولا ذلك لاشكل على قواعد العربية لانه عطف الرب على الروح وشرك بينهما فى تعدى الفعل اليه بالباء على وجه تعديه للمعقول وذلك ينافى كون الرب فاعلا للقاء واذا انت خرجته على المعنى الذى ذكرناه لم يبق فيه اشكال والله اعلم

